قصص هيتشكوك

مغامرات مثيرة وحوادث تحبس الانفاس



قصص هيتشكوك

تصدر باشراف المخرج العالمي الشهير

الفريد هيتشكوك

سيد الاثارة وملك التشويق

سلسلة قصصية تصدر في حلقات شهرية

ثمن النسخة :

لبنان ليرة لبنانية ــ سوريا ١٢٥ ق.س. ــ الاردن ١٢٥ فلسا ــ العراق ١٢٥ فلسا ــ الجمهورية العربية المتحدة ١٥٠ مليما ــ الكويت ١٥٠ فلسا ــ البحرين ٢٠٠ فلسا بحرينيا ــ قطر ، ابو ظبي ، دبي روبيتان ــ المملكة العربية السعودية ريالان ــ السودان ١٥٠ مليما ــ ليبيا ١٥ قرشا ، عدن ، اليمن ، المكلا ٤ شلنات ــ المغرب درهمان ــ تونس ٢٠٠ فلس ــالجزائر دينارات .

تصدر باللغة العربية عن

دار هيتشكوك للطباعة والنشر
في لبنان

المدير العام : اديب مروه
بيروت - ص.ب ٢٩٦٨

★ ★ ★

الاشتراك باثنتي عشرة نسخة في لبنان (١٠ ل.ل)
في سوريا (١٥ ل.س)
في جميع البلاد العربية ما يعادل دينارين او جنيهين استرليينين

لا ترسل سلسلة "قصص هيتشكوك" الا لمن يدفع قيمة اشتراكها سلفاً

مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر
بيروت - تلفون ٢٤٢٠٥٢ - ٢٣١٢٦٥

قصص
هيتشكوك
مغامرات مثيرة وحوادث تحبس الانفاس

الكتاب السادس
المجلــد الاول
آب (اغسطس) ١٩٦٧
الثمن ليرة لبنانية او ما يعادلها

المحتويات

صفحة

حالت الظروف دون صدور كتاب « قصص هيتشكوك » السادس هذا في تموز كما كان مقررا ، ولذلك صدر الكتاب نفسه بتاريخ آب بسبب تأخير صدوره . فمعذرة .

قرائي الاعزاء



بقلم الفريد هيتشكوك

ليس لي ما اعلق به على هذه القصص سوى انها كتبت بفن وعمق بعد دراسة وتمحيص بغية الامتاع والتسلية عن النفس كي تنسى متاعبها اليومية الى جانب ما يستخلص منها من فوائد عديدة .

ان احدنا حين يذهب الى دار السينما لرؤية فيلم من الافلام او عندما يجلس امام زجاجة التلفزيون يفعل ذلك للحصول على متعة ذهنية بعد ان يكون قد فرغ من مشاغله وتحلل من مشاكله .

ولكن تزجية اوقات الفراغ يجب الا تذهب سدى ، بل كم تكون المتعة ابلغ واشد حين تكون مقرونة بالفائدة .

اذن المتعة زائد الفائدة هي غاية هذه القصص .

ولذلك احرص على انتقائها بعد عناء شديد لكي تؤدي هذين الغرضين الرئيسيين : المتعة في ان تكون القصة تشد القارىء اليها وتحبس نفسه متشوقا لمعرفة نهايتها فلا يترك المجموعة الا ويكون قد اتى عليها . والفائدة في ان يكون قد استخلص الكثير الكثير من العبر ... واطلع على الكثير الكثير من المشاكل ، وتعلم الكثير الكثير من الاساليب التي يستطيع ان يتفادى الوقوع فيها حتى لا يكون الضحية كما يحدث لبعض ابطال هذه القصص . فضلا عن الذخيرة الفنية والادبية التي قد يستطيع ان يعبىء ذهنه بها . لان اغلب هذه القصص هي على جانب كبير من الفن الادبي الجميل ، ولا ابالغ اذا قلت ان معظمها قطع ادبية رائعة الجمال من حيث السبك والاسلوب والعقدة والتحليل النفسي العميق وبراعة النهاية .

صحيح ان معظمها بوليسي النزعة ولكن ذلك ليس سوى اطار خارجي تدور في داخله ابلغ الغطسات العميقة في اغوار النفس البشرية .

ارجو الا اكون قد اثقلت عليكم في تقديم بضاعتي الجديدة هذه ، ولكني قد ابدو مقصرا تجاهكم لو اني تهاونت بتقدير ذوقكم الرفيع ، وانا متأكد انكم مثلي تقدرون الفن الرفيع ولا سيما قصصي المتواضعة .

مع تقديري ...

الفريد هيتشكوك

في أثر اختفت أليس

بقلـم كورنل وولريتش



هذه القصة تؤكد بوضوح ما قاله النقاد في مؤلفات كورنل وولريتش : انها تعتمد على الصدمة العنيفة التي يحدثها الهلع المفاجىء . او لنستعمل كلمات وولريتش نفسها : « ان مثل هذا لا يمكن ان يحدث في وضح النهار » .

لقد قيل في كتابات هذا المؤلف انها قصص تقصم الظهر . روايات جذابة مدروسة ترتعش منها الابدان حتى ليقشعر منها شعر الرأس . فهذا الاستاذ المعاصر « للرعب » وخصوصا « المخيف » الذي يعترض الحياة اليومية يخلق جوا حادا من العواطف والخوف والعنف .

انك سترى هذا بالتتابع وبدرجات متفاوتة في هذه القصة الطويلة التي تعتبر تحولا معاصرا لحالة دراماتيكية كلاسيكية مشوقة . وعلى كل حال فعنوانها : « فجأة اختفت اليس » ليس بأقل منها اغراء .

ان الوصف الذي يعطيه « كورنل وولريتش » لرجل البوليس في عالم المفاجئة العنيفة الطارئة يستحق الانتباه : « كان رجلا مثلي . قد يكبرني بخمس سنوات وقد يقل عني ببضع سنتمترات طولا . انه يشعر مثلي تماما بالبرد والجوع والتعب وقد يضطر مثلي ايضا لابتلاع الكذب . كما انه لم يكن اقدر مني اطلاقا على التكهن بما سيحدث او ان يرى ما وراء الجدران او سبر اغوار القلوب » .

ولكن هل هو دون الابطال اذن ؟

ـ كلا ليس بالضبط ...

انتهى الامر بسرعة ، خيل الي معه كما لو ان القضية قضية شعوذة، ولكني عدت وافترضت انه لطول عهده بالمهنة فلا بد انه يعرف ماذا يفعل . ولم افهم انه قضي الامر الا حين سمعته يعلن : « باستطاعتك تقبيل العروس » . ويجب علي القول هنا انني كنت لاول مرة في حياتي أمر بمثل هذا الموقف معها . وتبادلنا قبلة سريعة خاطفة من رؤوس شفاهنا نظرا للعيون المنصبة علينا .

كانت الساعة تشير الى الواحدة والربع صباحا . وكان هو والمرأة التي قامت بدور الشاهد (واظنها خادمته) ينظران الينا بابتسامة مؤنسة طيبة . وبعد قليل ودعنا متمنيا لنا ، نحن

الاثنين ، حظا سعيدا وتبعته هي ايضا قائلة : « انــي اتمنــى لكما سعادة وافرة » . وخرجنا من الغرفة الــى الرواق ثم الى الباب الخارجي بقليــل من الارتباك . غــير ان أليس نبهتني بحركة خفيفة من كوعها ثم همست : « لقد نسيت شيئا » .

انني ما كنت اعلم كم يجب اعطاؤه. فاخرجت من محفظتي ورقتين الواحدة من فئة الدولار وضعتها في يد ، وفي الثانية ورقة من فئة الخمسة دولارات وعدت اليه مسرعا وانا اقول : « انا ... انا اراهن بأنك ظننتني سأذهب دون التفكير بالامر » . ومددت يــدي نحوه ثم ارجعتها فارغة . كان يبتسم كما لو أن ذلك يحدث معه دائما ولــم الق نظرة على يدي الثانية الا عندما لحقت بأليس فعرفت اني تركت لــه خمسة دولارات .

انه شيء بدون اهميــة على كــل حال ، واذا اردت معرفة شعــوري الحقيقي اقول لك بان خمســة آلاف دولار ليست كثيرة عليه بالنسبة لمــا فعله من اجلي .

بعد هذا قطعنــا المر الخارجــي وصعدنا الــى السيارة بينما ما زالا هما يبدوان لنا في المدخــل المضاء . فرفعا ايديهما قائلين : ليلة سعيدة .

ــ ليلة اسعد وشكــرا جزيــلا ، اجبتهما ثم همست لاليس : « لننتظر حتى يدخلا » .

وما ان اظلــم مدخــل البيت حتى اخذت اليس بين ذراعي وفي هذه المرة تبادلنا قبلة حقيقية . ثم سألتهــــا برفق :

ــ الست نادمة ؟

فأجابتني هامسة :

ــ انه شيء مخيف لو لم اتزوجك ، كيف كان بامكاني تحمل ذلك ؟

ولم اعد اذكــر اننا تبادلنا كلمــة واحــدة طيلــة المسافــــة الــى ماشينيابوليس .

كنا سعيدين حقا . انا وهي وحدنا مع النجــوم برفقــة سيجــارة او سيجارتين .

وصلنا الــى الضاحية حوالــي الساعة الثانية والنصف وفي الثالثــة كنا في المدينة . لقد راقبنا اللافتــات طيلة صف او صفــين من البيــوت واخيرا قلت لها : هذا فندق حســن المظهر . ثم اوقفت السيــارة امامه ودخلنا .

كــان الفنــدق الاول يدعــــى « الكومودور » على ما اذكر . غــير انى لاحظت عدم انتباه الخدم الينا . فلم يهرعوا لحمل حقائبنا كما يفعلون عادة . وتوجهت الى موظف الاستقبال قائلا : اريد غرفة من احسن غرفكــم مع حمام خاص . فأجابني بابتسامــة كأنه يقول : يجب الا تكون ساذجــا

الى هذه الدرجة ... ثم اردف قائلا : بكل اسف ليس لدي طلبك .
ــ ماذا ؟ الا يوجد غرف ؟
ثم استدرت نحو اليس قائلا :
ــ فليكن . لنذهب الى غيره .
ولكنه بعد ان سمعني قال :
ــ المعذرة ، الم تحجز غرفة مقدما ؟
ــ كلا . لقد وصلنا لتونا . ولكن لماذا ؟
فهز رأسه بعطف امام جهلي وقال :
ــ اني اخاف جدا بألا تجدا غرفة في اي فندق هذه الليلة .
ــ ولكن لماذا ؟
ــ لانه يوجد مؤتمر لفرسان بالبوا وسيدوم ثلاثة ايام . وبقية الفنادق ابتدأت منذ مساء الاثنين بارسال الفائض عنها ، وآخر غرفة لدينا حجزت مساء امس .
كان الفندق الثاني يدعى ستيفسانت حسب ما اظن . على كل حال يجب ان نجد لنا مكانا فارغا نأوي اليه في مدينة مهمة كهذه . وسنفتش حتى نجد ذلك .
لم اعر انتباهي للفندق الثالث او الرابع . ولكننا لا نستطيع العودة الى حيث كنا . فلا نصل الى هناك الا في ساعة متأخرة من الصباح ، وفي طريقنا لا يوجد مكان يمكنه ايواءنا ، فلم نشاهد سوى محطات للبنزين ومطاعم ومزارع معزولة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية اخذ التعب يفعل فعله بها . صحيح انها لم تقل ذلك غير انه كان واضحا عليها . وهذا ما كان يعذبني .
كان الفندق الخامس يسمى « رويال » وهو اقل اناقة من الاول . على كل حال ليس لدينا ما نقوله في هذا ، فالمهم ايجاد مكان نبيت فيه ليلتنا الاولى . وفي قاعة الاستقبال سمعت الجواب نفسه . غير اني هذه المرة لم اقتنع ، فمنظر أليس المحطم اعطاني قوة الالحاح ، واخذت الحارس الليلي جانبا وقلت له :
ــ اسمع . يجب ان تجد شيئا . اي شيء . لقد مضى علينا وقت طويل ونحن نسير . ان زوجتي منهكة ولا استطيع جرها هذه الليلة الى اي مكان آخر .
وبما ان قسمات وجهه بقيت جامدة عدت وقلت له :
ــ اذا كان لا يمكنك استقبالنا نحن الاثنين معا فعلى الاقل هي وحدها وانا ادبر نفسي . أنام في السيارة او امضي الليل سائرا في الشوارع .
وبعد هنيهة قصيرة اجابني متظاهرا بتذكر شيء وهو يحك ذقنه بأصبعه .

ـــ انتظر قليلا. اظن ان باستطاعتي تدبير الامر . لقد تذكرت . يوجد في الطابق الاخير غرفة صغيرة ــ اننا لا نستعملها عادة غرفة للزبائن ــ انكما لا تستطيعان النوم فيها حقا اذ لا يوجد فيها غير سرير صغير ضيق . ولكن اذا قبلت زوجتك فاني اقدمها لها بكل سرور . اما انت فتستطيع ايجاد غرفة في نادي الشباب المسيحي لان هناك لا يقبلون النساء وجمعية الفرسان اصطحبوا معهم زوجاتهم .

القيت نظرة على وجه أليس الجميل المتعب وقلت له بامتنان : ــ لا بأس . لا بأس . غير انه بعد تردد قصير اجابني :

ــ من الافضل ان نريها اياها اولا . ثم رافقنا احد الخدم وفي الطريق اخذت اشرح الموقف لاليس التي كانت تحدجني بنظرات عاتبة . ولكني كنت اراها منهكة حتى انه لم يكن باستطاعتها المعارضة واكتفت بقول هذه الكلمات فقط :

ــ تبا لحظي ما اسوأه ! هكذا تكون ليلتنا الاولى ؟ ليلة حبنا الجميل ...

ــ انها ليلة واحدة يا عزيزتي . سنذهب بسرعة بعد الافطار . من الضروري جدا ان ترتاحي ، لا تحاولي لومي ، انك لا تستطيعين فتح عينيك .

ثم وضعت ذراعها برفق وحنان تحت ذراعي وقالت بعتب خفيف :

ــ اذا كان الامر عندك سيان ، وانا كذلك . على الاقل سأنام وانا احلم بشيء : ان اراك غدا .

كان الخادم يسير امامنا في الرواق الصامت المفروش ببساط اخضر ثم استدار واخذ يحقق بأرقام الابواب . وتوقف بعد ثلاثة من المنعطف في جهة اليمين ووضع المفتاح قائلا : ها هنا يا سيدي وكان الرقم ١٠٠٦ .

لم يبالغ موظف الاستقبال في وصفها لنا . لم تكن الغرفة سوى اشبه شيء بالوكر : طويلة ، ضيقة . لقد كان بامكان شخصين الدخول اليها اما ان يرقدا فيها فذلك مستحيل بالنظر لما كانت عليه . فالسرير كان بعرض لوح من الخشب او اقل ولضيقها كانت النافذة بعرض اقل من الوسط ومع ذلك لم يكن على جانبيها اكثر من ٣٠ سنتمترا من الجدار لكل جهة من جهاتها وهذا يعني ان تلك النافذة كانت تحتل القسم الاكبر من الغرفة .

لقد كان من الممكن لي تمضية الليل على الكرسي الوحيد الموجود والنوم عليه ... او محاولة النوم . ولكن بما انه يمكنني الحصول على فراش عادي في نادي الشباب المسيحي فلماذا لا اكون عاقلا ؟ ووافقت أليس معي على هذا الرأي . وبعد ان نزلنا قلت للموظف انني موافق على اخذ

الغرفة وذهب الخادم الى السيارة لجلب حقيبة امرأتي بينما كان موظف الاستقبال يقدم لها سجل لتسجل اسمها .

أخذت القلم وهي توجه الي نظرة حنونة عطوفة عندما ابتدأت بكتابة اسمها وهمست قائلة : « انها اول مرة أستعمل هذا الاسم » وانحنيت فوق كتفها ناظرا اليها تسطر : « السيدة جيمس كانن » كان آخر تسجيل قبلها باسم « كرمباك وزوجته » ... لقد لاحظت هذا الاسم لغرابته .

في هذا الاثناء كان الموظف قد غير رأيه فينا واعتبرنا من الزبائن المرغوب فيهم ، ثم قال :

ــ انني آسف لعدم تمكني من خدمتك بشكل أفضل . ولكن لليلة واحدة فقط . اذ غدا سيرحل الكثير من الزبائن .

ثم صعدت ثانية مع أليس لاسهر على راحتها ولاساعدها في ترتيب فراشها . ففي ظرف كهذا لم يكن لدي اي اعتراض كبير على الغرفة سوى ضيقها ومن ثم افتراقنا المؤقت تلك الليلة .

بعد ان جاء الخادم بالاغطية ورتب بعض الامور غادرنا ، فساعدت أليس على خلع حذائها ثم غمرتها وانا اقول لها كل ما تظنه يقال في لحظة من هذه اللحظات السعيدة . وتركتها وخرجت ... كان آخر مشهد رأيته لاليس في تلك الليلة وهي تجلس على حافة السرير حافية القدمين . ثم رفعت يدها بحركة حبية فيما كنت ، رغما عني ، اقفل الباب قائلا : ــ الى الغد ...

ــ الى الغد يا كنزي الثمين .

كان الليل هادئا ساكنا وكأنه حبس انفاسه. ثم سمعت صوت القفل ووجدنا نفسينا يفصلنا الباب المغلق . كان الخادم قد ذهب بواسطة المصعد واضطررت لندائه مرتين بالجرس منتظرا دقيقة او دقيقتين حتى عاد الي . بينما كنت انتظر التفت ناحية باب غرفتها فرأيتها مظلمة رغم مضي هذا الوقت القصير . اذ كانت اثناء ذلك قد آوت الى الفراش دون شك ورمت غطاءها فوقها واستسلمت للنوم .

دخلت قفص المصعد هازا برأسي قائلا : لقد تعبت هذه الليلة ، ولكن لا بأس ستنام الآن. وعندما وصلت الى الطابق الاسفل ارشدني موظف الاستقبال الى اقرب ناد للشبيبة المسيحية وذهبت بسيارتي التي كانت افضل وسيلة للوصول بأسرع وقت ممكن . لم اجد اية صعوبة بايجاد مكان لي مقابل دولار واحد .

لم اتصل بها هاتفيا قبل ان انام . لاني كنت قد فكرت انها تكون غارقة في نوم عميق وايقاظها في ذلك الوقت

يكون قساوة مني بغير طائل .

استيقظت في الثامنة صباحا وهذه المرة ايضا لم أشأ الاتصال بها لاطمئن عليها وذلك لاني اولا : بعد بضع دقائق سأكون عندها ، وثانيا : اردت ان اوفر لها كل الوقت الممكن لتبقى نائمة حتى وصولي اليها . ولقد تعمدت التأخر فدخلت الحمام وحلقت ذقني بتمهل ثم قدت سيارتي ، وفي الطريق كنت اتباطأ حتى لا اصل اليها قبل الساعة التاسعة .

كان اليوم جميلا جدا والشمس تشع فيه كأنها جديدة خارجة لتوها من المعمل .

توقفت امام احد المحلات واشتريت زهرة قرنفل لازين بها صدرها . ثم حدثت نفسي قائلا : سآخذها من هذا الوكر الضيق وسنذهب الى افخم المطاعم في المدينة حيث اقدم لها كوبا من العصير تشربه وانا انظر اليها .

توقفت امام الرويال ونزلت من السيارة ثم دخلت وانا اشع بهجة وحبورا . وشعرت كأن الردهة قد تنورت بي لما كنت عليه من فرح وسعادة .

كان يجلس امام مكتب الاستقبال موظف آخر ينتمي الى الفريق النهاري ... وبما اني كنت اعرف رقم الغرفة صعدت رأسا دون التكلم معه .

خرجت من المصعد في الطابق العاشر وولجت الممر تماما كما فعلت في الليلة السابقة ، الممر ذو البساط الاخضر نفسه ، ثم استدرت وتوقفت امام الباب الثالث الحامل رقم ١٠٠٦ واصغيت السمع بانتباه لارى إذا كانت قد استيقظت ام لا . في هذا الوقت حدثت نفسي قائلا : اذا كانت لم تزل بعد نائمة فسأعود ادراجي الى السوق اضيع فيه بعض الوقت لافسح لها المجال للنوم اكثر مدة ممكنة طالما انها كانت بحاجة لذلك .

ولكن ها هي قد استيقظت اذ انني اسمع صوتا كما لو انها تنظف ثوبها او رداءها بفرشاة قاسية : كرش ... كرش ... كرش ... فصفقت قليلا بيدي غير ان صوت الفرشاة لم يكف لحظة بل استمر بتؤدة وانتظام . لم يكن الباب مقفلا فما كدت ألمسه حتى انفتح قليلا وهبت في وجهي رائحة « الترابينتين » . ودون الانتظار لارى ما يجري فتحت الباب على مصراعيه وولجت الغرفة . وتوقفت مبهوتا . ماذا ؟ هل اخطأت الغرفة ؟ انها فارغة ليس فيها اي شيء من الاثاث . الارض والسقف والجدران كلها كانت عارية وحتى اداة الانارة كانت قد انتزعت ولم يبق منها سوى شريطين سوداويين يتدليان من ثقب في السقف ورجل يرتدي قبعة بيضاء يقف على سلم وبيده فرشاة يدهن بها الجدار من

اعلى الى اسفل : كرش . . كرش . .

عند هذا تمتمت قائلا : لقد اخطأت الغرفة اذن . وخرجت متراجعا ــ انه طبعا كذلك ــ اجابني الرجل دون ان يلتفت ليرى من الداخل :

في الخارج تفحصت الباب جيدا . انه الرقم ١٠٠٦ . انه الرقم نفسه الذي اعطوها اياه البارحة دون اي شك . ثم نظرت مرة ثانية الى الداخل : انها الغرفة نفسها . طويلة وضيقة . . ليس هناك اكثر من ثلاثين سنتمترا من الجدار على كل جانب من جوانب النافذة . .

انها هي . . الغرفة نفسها . ولكن من الجائز انه عندما فارقتها البارحة كانوا قد وجدوا لها غرفة ثانية انسب، ونقلوها اليها . ثم سألت : ــ هل تعلم اين وضعوا السيدة التي كانت في هذه الغرفة ؟ هل عندك فكرة بذلك ؟

ــ كرش . . . كرش . . كرش . . لست ادري يا صديقي . يجب ان تسأل الموظف . لقد كانت فارغة عندما جئت لادهنها في الساعة السابعة . كرش . . كرش . .

نزلت متوجها الى مكتب الاستقبال :

ــ المعذرة . . . في اية غرفة موجودة السيدة كانن الآن ؟

ثم اختفى الرجل لينظر الى لوح في الحائط كالموجود مثلها في جميع الفنادق وعاد قائلا :

ــ لا يوجد عندنا نزيلة بهذا الاسم .

انتفض رأسي الى الوراء وقد اتسعت عيناي ، ثم تقدمت اليه قائلا بجفاء :

ــ ماذا دهاك يا هذا . لقد جئت انا بنفسي معها البارحة ، اعد نظرك مرة ثانية .

ــ آسف يا سيدي لا يوجد اسم للسيدة كانن عندنا .

كنت اعلم ان ليس ثمة من داع للخناقة . . خطأ بسيط ويصحح بسرعة . ولكنه شيء مزعج . غير اني تحملت . وبعد . . انها اول صبيحة من شهر العسل .

ــ ان حارسكم الليلي كان في الفندق عندما جئت معها حوالي الساعة الثالثة صباحا واعطاها الغرفة رقم ١٠٠٦ .

وحقق في هذا ايضا ثم قال : ان هذه الغرفة ليست مستعملة . وها اننا نعيد دهنها وفرشها . انها فارغة منذ . . .

ــ لا يهمني شيء من كل هذا . اقول لك انهم استقبلوا امرأتي في الساعة الثالثة صباحا . وانا نفسي صعدت معها . . . هل تريد ان تكف عن المناقشة وتقول لي اين هي غرفتها الجديدة اذا شئت ؟ اني لا اريد تمضية نهاري هنا في الحديث . اريد اللحاق بها .

ــ ولكني اقول لك يا سيدي بان اللوحة لا تشير الى احد بهذا الاسم .

ــ اذن انظر في السجل اذا كنت لا تصدقني . لقد رأيتها بنفسي تسجل اسمها .

في هذا الوقت كانت الردهة قد امتلأت بالزبائن واخذوا ينظرون الي . غير اني لم انتبه اليهم البتة .

ــ قد يجوز ان تكون اللوحة ... او انهم قد ... سمعت موظف آخر يقول :

واخذ يمر بأصبعه من اعلى الى اسفل على صفحة السجل . اخذ يمر بسرعة دون توقف كما لو انه كان متأكدا بان ما من شيء سيوقفه ... ثم انتقل الى الصفحة الثانية ومر بها بالسرعة نفسها .

ــ اعطني هذا . قلت له بعصبية. سأجد لكم الاسم بأقل من ثانية . وادرت السجل لجهتي ... ثم اعترضني هذا الاسم : كرمباك وزوجته ... وتحته توا فراغ ابيض حتى نهاية الصفحة .. ولا يوجد بعده اي اسم ولا اي تسجيل ..

عند ذلك خيل الي بأن جميع مسام وجهي قد تمددت . هكذا شعرت ... ولكن قد تكون حالتي عملية اصفرار بسيط فقط .

ــ لقد سجلت اسمها بعد هذا الاسم بالذات ... انا رأيتها بنفسي. لقد شطبوه ما من شك في هذا ابدا .

ــ اوه كلا طبعا. لا يجرؤ احد على عمل هذا في السجل . صحيح ان النزلاء يرحلون ولكن اسماءهم تبقى مدونة .

اخذت ، وانا مذهول امام هذا الواقع ، امرر بأصبعي على الورقة البيضاء تحت اسم كرمباك فوجدتها ناعمة صقيلة لا يوجد عليها اي اثر او غير ذلك . ثم وجهت الصفحة نحو النور محاولا تمييزها اذا كانت اقل سماكة في هذا الموضع من غيره وذلك اما بواسطة المحي او اي طريقة اخرى تستعمل للحذف . لقد كانت بجميع مواصفها بنفس النعومة ونفس الصقل .

ثم اخذت اتكلم بهدوء ولم اعد ضجرا .

ــ يوجد خطأُ حتما ... يوجد خطأ ما في ناحية من النواحي . اني لا افهم من هذا شيئا . لقد شاهدت زوجتي تسجل اسمها . لقد شاهدتها بعيني الاثنتين . واعرف جيدا انها هنا في هذا الفندق بالذات . وحتى لو انني كنت مخطأُ فهذا الاسم كرمباك وحده يؤكد عدم خطأي . انني اتذكر جيدا انني قرأته البارحة مساء ... الا يجوز ان يكونوا قد نقلوها دون اعلامكم بذلك ؟

ــ هذا غير ممكن . جميع التنقلات

يجب ان تمر بي . فالامر ليس انـــي لا اعلم بأية غرفة توجد زوجتــك بل الواقع انه لا يوجد اي دليل يبرهـــن على انها جاءت في يوم من الايام الى هذا الفندق . انت ترى يا سيدي .. انك يجب ان تكون مخطأ . فقلت لـــه مقاطعا بصوت اجش :

ــ استدع لي المدير ...

كنت اقف منتصبا قرب حاجز المكتب ورغم اني لم اكن بعيدا عنه ســـوى سنتمتر واحد فلم اتكيء عليه . كنت جامدا بغير حراك ، منتصبا كالقضيب، وكان الناس ورائي يذهبون ويجيئون فرحين مطمئنين يسألون عن حاجـــات لهم او يعطون بعض التعليمات .

بت اشعر ان شيئا مبهما ، غريبـــا بات يفصل بيني وبينهم . او كـــأن اصابع خفية رسمت حولي دائرة ثـــم اندلعت منها ابخرة سحرية حجبتنـــي عن بقية العالم . لم اشأ ان يسيطـــر علي هذا الشعور في باديء الامر لاني كنت افكر بأن الوقت لم يحن بعد . ولكنه بات حولي يحيطني ... يهددني ... ومن وقت الى آخر كنت اهـــز رأسي بعنف واقول محدثا نفســـي : ان اشياء كهذه لا يمكن ان تحدث فـــي وضح النهار . فهناك دون شك سوء تفاهم لا بد ان ينجلي بسرعة .

عندما دخلت الى الفندق كانـــت الردهة تبدو لي منورة زاهية . ولكن ... لا . كنت مخطأ . كانت هنـــاك اشباح تتطاول في الزوايا البعيدة ولم يكن احد غيري ليراها . ان زهـــرة القرنفل التي اشتريتها لزوجتي اخذت في الذبول .

... وجاء المدير ولم يقدم اي عون ايضا . لقد اظهر لي كل تحبب واستمع الي بكل انتباه . واخـــيرا لم يقـــدر سو ى ان يطلب مـــن الموظف تكـــرار اعادة النظر من جديد كما فعل معـــي من قبل : مراجعة اللوحة والتفتيش في السجل . وطبعا كانت النتيجة هـــي ذاتها . ولكن الآن بدلا من ان استمع من الموظف كان المدير نفسه يقول لي : لم تكن السيدة كانن عندنا في اي وقت من الاوقات .

وقلت له اخيرا بنفاد صبر :

ــ ولكن حارسكم الليلي يؤكد لكـــم ذلك . سيقول لكـــم بأني جئت بهـــا البارحة ... اسألـــوه ... انـــه يتذكرني دون شك .

ــ سأناديه ... ولكن قبـــل ان يمسك سماعة الهاتف عاد وقال لـــي :

ــ هل انت متأكد بان هذا هو الفندق نفسه يا سيد كانن ؟.. لقد بقـــي الموظف في الخدمـــة حتـــى الساعـــة السادسة صباحا وانـــه ليزعجنـــي ايقاظه الا ...

ــ ارسل في طلبه . ان نومه اقـــل اهمية من الحادثة التي نحن بصددها.

يجب توضيحها فورا .

حتى الان لم يكن قد تملكني فعلا الخوف والذعر . انما كل ما هنالك اني كنت منزعجا ، ضائعا لا ادري ماذا اصنع .

بعد مضي خمس دقائق جاء الرجل وقد عرفته توا عندما خرج من المصعد رغم وجوده مع عدة اشخاص آخرين . كنت متأكدا تمام التأكيد بأنه سيعيد الامور الى نصابها ، لذلك تقدمت باتجاهه خطوتين بدلا من الانتظار حتى يصل الينا . ولو ان الآخرين لاحظوا حركتي هذه ، يعني معرفتي الفورية له ، لكانوا اخذوها دليلا على حسن نيتي . ولكن لم يبد شيء من ذلك على احد .

ابتدرته قائلا :

ــ انك تتذكرني اليس كذلك ؟ الا تذكر انك سجلت زوجتي في الغرفة رقم ١٠٠٦ الساعة الثالثة من هذا الصباح وقلت لي اذهب ودبر امرك غير هنا ؟

ــ كلا . ثم بعد لحظة اردف بتأدب ظاهر . المعذرة . كلا .

وشعرت ان وجهي غدا ابيض كما ان لو قنبلة من كلس قد انفجرت عليه بهدوء .

وأخرت رجلا الى الوراء مبهوتا .

وسأله المدير : ــ من الجائز ان السيد قد جاء الى المكتب ليسأل فقط ثم ذهب . الا تذكر اي شيء يا ستيفن ؟

ــ كلا ــ انها اول مرة اشاهده فيها ــ يجوز انه اخطأ الفندق .

ــ ولكن انظر الى وجهي . انظر الي **جيدا** .

كنت اتكلم كما لو اني لم اصدر اي صوت بل كنت فقط احرك شفتي . فقد بدا لي كأنه لم يسمع شيئا .

ثم هز المدير كتفيه بتلطف وكأنه يقول لي : يا سيدي ان المسألة منتهية اذن بالنسبة لنا . عند ذلك تنفست بصعوبة باذلا جهدي للمحافظة على هدوء اعصابي وقلت له بأنني ... بأن ... اطلب الخادم الليلي الذي اصعد الحقيبة ... حقيبتها .

هنا اخذوا يتبادلون النظرات فيما بينهم كما لو اني كنت مجنونا .

قلت لهم بحزم :

ــ اسمعوا ... اني املك كل قواي العقلية . انني لا آتي الى هنا هكذا لو لم اكن متأكدا من ...

وحاول المدير تهدئتي واخذ يحثني بلطف على الخروج وهو يقول « الا تظن انك قد تكون مخطئا » ؟ انه لا يوجد اي اثر لهذه النزيلة . اننا من هذه الناحية دقيقون للغاية . اذا استقبل احد مستخدمي زبونا دون ان يسجله فانه يطرد فورا ... تذكر . قد يجوز ان يكون « البالمي او

الكومودور او اي مكان اخر غير هنا . تذكر يا اخي ، ان هذا يعود اليك » .

وكان مع كل مقطع من كلماته يجذبني تدريجيا وبلطف نحو الباب الخارجي . وفجأة رفعت نظري وابتعدت عنه عندما رأيت نفسي قرب الباب قائلا :

ـ كلا ... لا تفعل معي هذا . انها ليست طريقة ان ... اتريد ان تأتي بخادم الليل هذا ؟ اتريد ان تفعل ايضا من اجلي هذا العمل ؟

وبنفاد صبر اجابني :

ـ انه نائم في بيته الآن ... ولكن لا انتظر ... سأتحقق من ذلك .

واراد الحظ ان يخدمني هذه المرة . فلكثرة الزبائن ولقلة المستخدمين في هذا الوقت من السنة كان الموظفون يبقون في الفندق ربحا للوقت بدلا من اضاعته في المجيء والذهاب . ثم جاء الخادم .

ـ اتذكر هذا السيد ؟ انه جاء مع سيدة هذا الصباح عند الساعة الثالثة ؟ اتذكر انك اخذت له حقيبة السفر الى الغرفة رقم ١٠٠٦ ؟

سدد الخادم عندئذ نظرة فاحصة الى وجهي ... وبدا عليه كأنه لم يعرفني . وقال :

ـ كلا يا سيد دي كراس .

ولم تكن هذه الصدمة اعنف من الاولى بالنسبة لي . اذ ان ذلك لم يكن ممكنا ... مرتين على التوالي ...

قلت له :

ـ الا تذكر انك جئت لها بحرام اضافي لتتغطى به وانني اعطيتك لعملك هذا ٢٥ سنتا ؟ يجب ان تذكر ذلك ... وكان الحرام ازرق غامق موشى بالزهور .

ـ كلا يا سيدي .

ـ ولكني اعرفك . اني اتذكر جيدا هذا الجرح فوق حاجبيك ... افتح فمك قليلا ... وتلك السن الامامية المذهبة التي تظهر كل مرة تبتسم فيها ؟

ـ كلا يا سيدي ... لست انا .

هنا اخذ صوتي ينكمش ويختنق في حنجرتي وانا اقول له :

ـ واخيرا عندما صعدت ثانية في المصعد لتنزلني . وعندما نزلنا معا قلت : « اظن انها تكون بحالة جيدة » .

وامسكته بذراعه واخذت ارجوه قائلا : تذكر ... تذكر ...

ـ كلا يا سيدي . قالها هذه المرة بصوت منخفض جدا حتى انني سمعته بجهد . كلمني كما لو ان تربيته لا تسمح له بمناقضتي كليا . ولكن رغم ذلك يجب عليه ان يقول الحقيقة ثم امسكت بطرف سترتي وهزرتها امامه كي يراها جيدا وقلت له :

ـ الا تعرفني من هذه ؟ ووضعت

يدي بلطف على ذقني وتابعت : الا تذكر سحنتي ؟

لم يجب هذه المرة . بل اكتفى بهز رأسه نافيا كلما كنت اسأله .

ــ ولكن لماذا هذا التصرف منكم جميعا ؟ ماذا تبغون انتم كلكم ؟

ان الابخرة السحرية التي كانت كأنها تفصلني عن بقية العالم اخذت تموج حولي الآن . واصبح صوتي حادا ثاقبا يغشاه نوع جديد من الرعب ... رعب لم اشعر به اطلاقا منذ كان عمري عشر سنوات .

لقد انتصرتم علي الآن ــ لقد قطعتم ذراعي ورجلي دفعة واحدة ــ يكفي كفوا عن هذه المهزلة ...

هنا اخذوا يبتعدون عني تدريجيا واخذت الفسحة تتسع شيئا فشيئا حولي ، ورحت التفت الى الواحد تلو الآخر . من الخادم الى الحارس الليلي ، ومن الحارس الليلي الى موظف الاستقبال الى المدير . وكان كل واحد انظر اليه يتراجع قليلا ، ثم خيم صمت لمدة وجيزة . كنت اثناء ذلك اقاتل ضد هذا النوع الفرعي من الموت الذي اخذ ينتابني . موت يسمى بالغرابة ... انقطاع كل خيوط الاسباب التي من شأنها ان تربطنا بالواقع .

لقد ابتعدوا عني ببطء حتى اصبحت وحيدا معزولا .

ثم اشتد الضغط علي وانفجرت قائلا جارفا بصوتي سكون الردهة .

ــ اريد زوجتي ... قولوا لي ماذا حل بها او ماذا صنعتم بها ؟ لقد جئت معها البارحة مساء . انكم لا تستطيعون ان تقولوا لي بأن هذا غير صحيح ...

وتحركوا ليحيطوا بي . وسمعت المدير يهمس بصوت منفعل .

ــ انني لم اشك لحظة ... كنت اعرف بأنه سينتهي هكذا ... جورج . ارثر ضعوه خارجا وبسرعة .

وفجأة امسكا بذراعي من الوراء وجذباهما واخذت اقاوم بعنف محاولا الافلات ، حتى انني كنت ارفع رجلي واضرب بها الارض ولكن دون جدوى .

كانوا ممسكين بي بقوة . وفي هذا الوقت تقدم المدير مني من جديد محاولا تهدئة الضجة بحضوره وقال :

ــ والآن هل تريد الذهاب او انادي الشرطة لتقبض عليك ؟

وتدخل موظف الاستقبال وهو يقول :

ــ الاجدر بك يا سيد دي كراس ان تنادي الشرطة فورا . فقد مر علي مثل هذا النوع . ما ان تتركه في الخارج حتى يعود حالا .

ــ كلا انني افضل عدم دعوة الشرطة الا اذا جبرني على ذلك . ان هذا يسيء الى سمعة الفندق ... ها

ان الناس ابتدأوا بالتجمع . ثم اخذ يحاول تهدئتي . انك لا تبدو ذاك الرجل ... لماذا لا تذهب ؟ .. اذا تركتك تذهب هل تعدني بعدم رجوعك الى هنا ؟..

ــ أليييس ...

لقد تصاعد ندائي بنغمة ممزقة متجاوبا عبر الردهة والغرف البعيدة. لقد تضخم هذا العواء في الثواني الاخيرة من احرفه . فقد وضعت فيه كل قلبي وروحي ، ومن فرط تموجاته ارتجت الثريات حتى ان امرأة كانت موجودة بالقرب مني لم تتمالك من الصراخ . ولم يقدر الجمهور المحتشد على كبت صراخي وندائي .

ازاء هذا اخذ المدير يضرب بيده على جبهته يائسا وهو يقول :

ــ أوه ... هذا مخيف حقا . نادوا الشرطة حالا واخرجوه .

وقال له موظف الاستقبال : ــ الم اقل لك هذا من قبل ؟

ومن جديد ملأت رئتي بالهواء واخذت انادي بكل ما لدي من قوة :

ــ ليأت احد منكم لنجدتي . انتم الموجودون هنا تنظرون الا يوجد فيكم من يساعدني ؟ لقد جئت البارحة مع زوجتي الى هذا الفندق واليوم يدعون انها ليست موجودة وانني لم احضر .

وفجأة شعرت بيد سمراء تقفل لي فمي ثم لترتفع بسرعة بناء على امر المدير وهو يقول :

ــ جورج ... ارثر ... لا تمسانه بسوء لا تقسوا عليه . ان هذا يعرضنا للملاحقات نحن بغنى عنها . انكما تعرفان ذلك .

ثم سمعتهما هو وموظف الاستقبال يصعدان زفرة ارتياح . وعلمت عندئذ ان شرطيا اصبح ورائي .

ان القبضة التي كانت تمسكني بذراعي وراء ظهري تغيرت الآن واصبحت خفيفة عما قبل ولكن لم اتحرك ولم اقاوم . وفجأة اصبحت كالبليد الابله ، لقد ذعرت من فكرة التوقيف وربما السجن . اني اريد المحافظة على حريتي قبل كل شيء اذ بدونها لا استطيع التفتيش عن أليس. كيف استطيع ذلك لو وضعوا القيود حول يدي ورموا بي في غيهب زنزانة مظلمة ، عندها كيف استطيع تفسير هذا السر المحير ؟

ان الشرطي لا يمكن ان يصدقني ، فهؤلاء الذين شاهدوا أليس بأعينهم ينكرون وجودها فكم بالحري اذن اولئك الذين لم يروها ؟.. وكالحمل الوديع تركت الشرطي يأخذني الى الخارج ثم الى الرصيف المقابل للفندق . وكان المدير يتبعنا ماسحا العرق المتصبب من جبينه ووراءه موظف الاستقبال وبعض الذين كانوا في الردهة يتفرجون على الحادثة

... ثم اجتمع الشرطي بالمدير وموظفيه ولم اعلم ماذا قالوا فيما بينهم ولم اعترض حتى على الطريقة التي اخبروه بها عن سبب الفضيحة . انهم دون شك لم يغيروا الوقائع ولكنهم اظهروني بأنني كنت مخطئا عندما جئت مدعيا مجيئي وزوجتي الى الفندق ليلة أمس .

واخيرا سأل الشرطي المدير :

ــ هل تريد ملاحقته لتسببه في الفضيحة لمؤسستك ؟

ورفع المدير يديه الى اعلى خائفا ملوحا بهما وهو يجيب :

ــ كلا ... كلا يا سيدي اننا الآن في أوج موسمنا من السنة وليس لدي اي وقت لاشغله بمثل هذه القضايا ، ولكن ارجوك ان تعمل كي لا يعود ثانية وهذا كل ما اريده .

ــ لا تخف سأهتم بالامر .

ودخلوا جميعهم ، المدير وموظف الاستقبال والمتفرجون ، الى ذلك الفندق الذي ابتلع زوجتي وهي حية .

اخذ الشرطي يتلو علي خطابا كنت اسمعه بصمت مميت ثم دفعني دفعة افقدتني توازني وهو يقول :

ــ والآن اختفي من هنا ... فهمت ؟

ورفعت اصبعي مشيرا الى سيارتي وانا اقول : ــ انها سيارتي هل استطيع اخذها ؟ وبعد ان تأكد من صحة قولي فتح الباب وقال :

ــ اسرع ... ماذا تنتظر ؟

ولم يقم بأية محاولة ليعرف من كان مسبب الحادثة او ليعرف الصواب من الكذب في قصتي او انها كانت نتيجة سكر وعربدة او اختلال عقلي او اي شيء آخر . ولم يقم بأي عمل ... سوى « المرجلة » ... على كل حال انه ليس سوى شخص عادي يلبس بزة الشرطة فقط ... ولهذا السبب لم احاول الدخول معه بأي جدل . ان القيام بايضاح حادث غامض كهذا ليس من عمل موظف بسيط في شرطة السير ...

قصدت توا الى مركز البوليس ، ولكنني ذهبت اليه بملء ارادتي وبوسائلي الخاصة دون ان اجبر على ذلك او دون ان اتعرض للمراقبة طيلة الاربع والعشرين ساعة التالية .

بعد عشر دقائق كنت اقف امام اول مركز للبوليس شاهدته ودخلت سائلا الحاجب : ــ اريد التكلم مع ملازم الخدمة ــ ونظر الي ببرود وعدم اكتراث وهو يقول :

ــ بأي خصوص ؟

ــ بخصوص زوجتي .

لم اكلمه بيني وبينه ، بل بحضور ثلاثة من رجاله ، غير انهم

كانوا كالاشباح يقفون بعيدا صامتين منتبهين .

كنت اسرد قصتي بكل بساطة آملا الوصول الى اقناعهم بصحتها رغم اني منذ البدء لم اتوصل الى ذلك . قلت :

ــ ادعى جيمي كانن ، عمري ٢٥ سنة ــ من مواليد ليك سيتي ــ تركت مساء امس انا وخطيبتي اسمها أليس براون المدينة بالسيارة وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عقدنا زواجنا عند احد القضاة يدعى على ما اظن « هولسكميب » يسكن في بيت ابيض امامه حديقة ويبعد حوالي ٨٠ كيلو مترا عن ليك سيتي بهذا الاتجاه . وصلنا الى هنا في الساعة الثالثة واستأجرت لها غرفة صغيرة في فندق رويال ، انها لم تكن تتسع الا لها وحدها وتحمل الرقم ١٠٠٦ . انني متأكد من هذا كتأكدي من جلوسي على هذا المقعد . وفي هذا الصباح عندما عدت الى الغرفة وجدتهم يدهنوها من جديد ومن ثم لم يعد باستطاعتي العثور على اي اثر لزوجتي . لقد رأيتها تسجل نفسها في سجل الفندق . واسمها الآن ليس له وجود . والحارس الليلي يؤكد انه لم يشاهدها ابدا كذلك الخادم . لقد وضعوني في حالة ارتجف معها كما يرتجف الولد الصغير امام الظلمة الدامسة . اني اطلب منكم مساعدتي . الا تريدون انتم ايضا مساعدتي ؟

وبتأن مخيف اجابني الملازم :

ــ اننا مستعدون لمساعدتك . . . اذا قدرنا على ذلك .

لم احب ذاك التأني منه . وفهمت على الفور ماذا كان يقصد ؟ اذا وجدنا اي برهان يدل على صحة روايتك . . .

ثم التفت الى احد الاشخاص الواقفين بعيدا ــ التفت بالصدفة نحو الذي كان اقرب الكل اليه ــ ثم عاد ووجه نظره الى ابعد ، الى الذي كان يقف في الوسط وقال : ــ جرب اذن يا انسلي اجلاء هذه القضية . اذهب الى الفندق حاول اكتشاف ما تقدر على اكتشافه ثم عد به معك الى هنا .

وقف رجل البوليس وتقدم نحونا . ولاول مرة منذ دخولي شاهدته بوضوح . والحقيقة اقول اني شعرت بشيء من خيبة الامل . لقد كان رجلا مثلي ربما يكبرني بخمس سنوات وقد ينقص عني ببضع سنتمترات . انه يشعر مثلي تماما بالبرد والجوع والتعب وقد يضطر مثلي ايضا لابتلاع الكذب ، كما انه لم يكن اقدر مني اطلاقا على تكهن ما سيحدث او رؤية ما وراء الجدران او سبر اغوار القلوب فلماذا يلزمني اذن ؟ انه كان يبدو بعيدا عن كل ما يجري في هذه

الانسانية البائسة . وكانت تلوح عليه امارات من كان يؤمن بشيء ثم فقد ذاك الايمان . واجاب :

ــ نعم يا سيدي .

ولم اقدر ان اعرف منه اذا كانت هذه المهمة ازعجته ام انها نالت موافقته ، اذا كانت تهمه بشيء أم انها سيان لديه . قلت له في الطريق :

ــ يجب ان تكتشف ماذا حل بها ... بأي حال من الاحوال يجب ان تجبرهم ...

ــ سأبذل جهدي .

كان يبدو عليه انه لا يستطيع اظهار أية عاطفة ... وعلى كل حال لماذا انتظر هذا من ناحيته ؟ وقلت له ايضا :

ــ يجب ان تعمل كل ما في وسعك ... الست متزوجا ؟ ألم تكن زوجا في يوم من الايام ؟

وحدجني بنظرة لم اقو على كنه مغزاها . لقد عدنا توا الى الفندق وهناك برهن عن جدارة وقام بعمله بدقة وسرعة . لم يوجه اي سؤال او يصدر اية حركة بغير محلها . كما انه لم يفعل اي شيء مهم . وهنا اخذت اغير رأيي فيه ونزعت شعوري الاول ــ انه فعلا على مستوى المهمة ولكن ليس بالقدر الكافي لاجلاء هذه الغوامض العجيبة ــ واليكم كيف جرى ذلك : طلب سجل الفندق ثم اخذ مكبرا من جيبه وفحص الموضع الذي ارشدته اليه حيث كانت قد سجلت اسمها . وطبعا لم يكتشف اي اثر للحف اكثر ما اكتشفته انا بالعين المجردة . ثم صعد الى الغرفة رقم ١٠٠٦ وكان الدهان على وشك الانتهاء من عمله ، لانها نظرا لصغرها فلم تتطلب منه اكثر من نصف يوم عمل . وسأله البوليس : ــ اين كان الاثاث عندما جئت تعمل هنا في هذا الصباح ؟ هل كان في الغرفة ام انها كانت فارغة ؟

ــ انه كان ما زال في الغرفة وانا الذي نقلته ــ لم يكن فيها شيء يذكر : كرسي واحد وسرير صغير وبساط فقط .

ــ هل كان السرير مستعملا ام لا ؟

ــ كان مستعملا .

ــ هل كانت النافذة مفتوحة ام مقفلة عندما دخلت ؟

ــ كانت مقفلة .

ــ هل كان الهواء في الغرفة تنبعث منه رائحة كما لو انها كانت مسكونة ومقفلة طيلة الليل ام انه كان نقيا والنافذة كأنها اقفلت منذ مدة قصيرة ؟

ــ كانت تنبعث منها رائحة قوية تبدو كأنها لم تفتح من مدة اسبوع .

ــ هل كانت توجد آثار مشبوهة على الجدران او الارض او اي مكان آخر في هذه الغرفة ؟

ـ كلا . لم تكن هناك سوى طبقة من الاوساخ وكانت بحاجة للدهان .

وعلمت انه يريد السؤال عن آثار دماء . وعضضت قليلا على داخل وجهي ...

ثم توجهنا الى مدير الفندق . وقادنا الى مستودع الغسيل وهو يقول :

ـ « اذا وجدنا هناك حرامات ذات لون ازرق غامق في الفندق فذلك يكون للمرة الاولى اسمع بها . ان الخادم كان بامكانه الدخول الى هنا في تلك الساعة ولكنه كان حتما لا يوجد سوى حرامات كستنائية . ها هي جميع حراماتنا انظر اليها ، ان الحرام الذي تتكلمون عنه ليس من عندنا » .

وذهبنا ايضا الى مستودع الامتعة وقال لي انسلي :

ـ انظر الا ترى اية حقيبة تشبه حقيبة زوجتك ؟

فتشت جيدا ولم اعثر على اي شيء ... فالى اي محل ذهبت او الى اي مصير انتهت اليه فقد اختفت حقيبتها معها .

بعد مضي حوالي الساعة تقريبا من دخولنا الى الفندق عدنا الى سيارتي في الشارع . لقد قام فعلا بمهمته على اكمل وجه . على الاقل هكذا كان رأيي .

لقد مكثنا في السيارة حوالي الدقيقتين ـ انا امام المقود وهو ينظر ويتأملني .

لم اقدر على معرفة نواياه تجاهي او بماذا كان يظن بي . ثم رفعت رأسي واخذت اتأمل واجهة الفندق طبقة طبقة ، وكنت اعدها بالتتابع حتى وصل نظري الى الطبقة العاشرة هنا توقف فجأة ثم اجلته فيها حتى النافذة المعهودة لقد كانت نافذة اضيق من غيرها . ضيقة ومرتفعة ورغم ذلك كم من الاسرار كانت تحتوي ...

ونبهني من شرودي صوت الشرطي وهو يقول لي :

ـ عليك يقع العبء الآن . عليك ان تثبت لي دخولها الى هنا وعليك ان تثبت انها كانت معك . وانها وجدت حقيقة ، فأنا لم اجد في هذا البناء اي شخص قال انه رأى تلك التي تقول عنها انها زوجتك .

واكتفيت بالنظر اليه بذاك النوع من النظر الذي توجهه الى من سدد اليك ضربة سكين في صميم قلبك . وبعد لحظة قلت له بمرارة وبصوت هادىء :

ـ اذن يجب علي الآن ان اثبت انه كان لدي زوجة اليس كذلك ؟

ـ نعم طبعا . اتقدر على ذلك ؟

لقد كان للطريقة السريعة التي اجابني بها وقع المهدة على رأسي ، ثم رفعت قبعتي واخذت امرر اصابعي بين شعري بحركة عصبية وقلت :

ــ لو سألك احد ذلك وبطريقة فجائية هل تقدر الاثبات ؟ قل لي هل تقدر ؟

واجابني وهو يخرج محفظته من جيبه الداخلي ولمحت فيها صورة صغيرة لامرأة يلمع في يدها اليسرى خاتم الزواج الذهبي ــ عادة قديمة عادة للظهور وتقضي باجبار الرجل ايضا على حمل تلك العلامة مثل النساء ــ وقال :

ــ هناك عدة طرق اثبت لك فيها زواجي منها . مثلا التوجه الى مكتب الزواج في المحافظة .

ــ ولكن انا ما زلت في البداية ــ وليس لدي اي صورة وكانت لا تحمل سوى خاتمها فقط في يدها ــ وشهادة الزواج سيرسلونها لنا الى ليك سيتي بعد بضعة ايام ... ولكن باستطاعتك سؤال القاضي في هولسكمب قرب (ر . ن . ٩) وهو يقول لك ...

ــ اتفقنا يا كانن . سأفعل ذلك . سأعود الى المركز لاقدم تقريري للملازم ومن هناك اخابر .

قلت في نفسي : الآن سينتهي الامر وستوضح القضية . وفي المركز تركني في غرفة مقابل غرفة الملازم بينما دخل ليقدم تقريره .

لقد بدا لي ذلك طويلا حتى ظننت انه لا يقدم تقريرا فقط بل يتباحث معه ايضا .

واخيرا عاد انسلي ولكنه اكتفى بسؤالي فقط :

ــ اعد علي اسم القاضي الذي زوجك .

ــ هو لسكمب .

ثم اغلق الباب وعدت ثانية للانتظار مدة طويلة . عاد بعدها وفتح الباب وناداني بايمائة من رأسه .

عندما دخلت وجدت جو الغرفة مفعما بفضول بارد جاف لا شيء فيه من العطف والليونة ــ كانوا ينظرون الي كما ينظرون الى شخص اصيب بمرض غريب لم يسمع به من قبل ويتساءلون عن الطريقة التي اصيب بها ، لقد شعرت بذلك بوضوح . وحتى ايضا من ناحية انسلي ــ ولكنه كان اوضح من ناحية الملازم الذي ابتدرني بالقول :

ــ انت تقول ان قاضيا اسمه هو لسكمب زوجك ؟ هل تصر على ذلك ؟

ــ نعم انه يقطن بيتا ابيض على الطريق العام وانت آت من ليك سيتي تماما قبل ان تصل الى (ر . ن . ٩) .

ــ نعم يوجد بالفعل قاضي اسمه هو لسكمب يسكن هناك . لقد خابرناه الآن وقال انه لم يزوج ابدا رجلا باسم جيمي كانن الى امرأة تدعى اليس براون لا في هذه الليلة ولا في اي يوم مضى . وفي هذه المدة الاخيرة لم يزوج احدا يشبه الاوصاف التي

اعطيناه اياها عنك وعلى الخصوص في الليلة الماضية لم يـزوج احـدا البتة .

عندما كان الملازم يتكلم كنت اشعر بصوته يبتعد عني شيئا فشيئا وكذلك شخصه ، ولم اشعر الابأنسلي يصب علي كوبا من المـاء البارد ويحملنـي بمعاونة شخص آخـر عـن الارض ويضعني على كرسي مجاور ... ثـم عاد صوت الملازم من جديد يطـرق سمعي واضحا وقريبا وكأن شيئا لم يكن :

ــ من هم اهلها في ليك سيتي ؟

ــ انها يتيمة ...

ــ اذن اين كانت تعمل ؟

ــ عند عائلة اسمها «باراسفورد» في ٢٠ شارع نيوهمشاير ، كانت تعمل خادمة عندهم وتسكن معهم .

ــ آلو ... اعطنـي الخـارج . اعطني لاك سيتي ... هنا مركـز البوليس في ماشينيابولس اريد التكلم مع شخص يدعى باراسفورد ٢٠ شارع همشاير .

وجاءت المخابـرة بسرعـة وسأل الملازم .

ــ عندنا شخص يدعي انـه تزوج فتاة اسمها اليس براون كانت تعمل خادمة عندكم .

وبعد مدة وجيزة وضع السماعـة مكانها قبـل ان الاحظ ان المخابـرة انتهت .

وقال : ليس عندهـم خادمة ولا يعرفون اليس براون ولم يسمعـوا بهذا الاسم اطلاقا .

هذه المرة بقيت جالسا على مقعدي ... ولكن لم اعد اسمع بوضوح ، كان كل شيء يبدو لي متموجا ــ كنت في بداية غيبوبة ــ يوجد حالة مثـل هذهالحالات يكون المرء خلالها في نصف هستيرية : يسمع وكأنه لا يسمع ، يفهم وكأنه لا يفهم ... ثم عدت الى الوعي تدريجيا وسمعت هذا الحديث:

ــ يبدو انه غير مضر ... لنتركه يذهب . لا يلبث ان يعود الى رشده . سأعطيه مهدئا للاعصاب .

وسمعت الملازم يقول بوضوح وتأكيد موجها كلامه الي :

ــ لم يكن لك زوجة اطلاقا ... يا كانن .

ونظرا للحالة التي كنت فيها ، تلك الحالة من الالتباس المخيف الرهيـب لم ار الا انسلي ، ولم انتبه الا لـه وسمعت نفسي اقول بتمتمة مبهمة لم يفهمها الآخرون :

ــ رغم هذا كان لك امـرأة يـا كانن ... أليس كذلك ؟

وتابع الملازم يقول :

ــ والآن يجب ان تذهب قبـل ان نغير رأينا ونستدعي سيارة الاسعاف، اذهب ولكن لا تعد الى الفندق ثانيـة

تثير الضجة والفضيحة ...

في الخارج اخذت اتأخر واتباطأ ... ما كنت اريد الابتعاد اطلاقا . فالى اين اذهب والى من التجأ ؟ وانتظرت حتى خرج انسلي وتوجهت نحوه قائلا :

ـ يجب ان اكلمك ويجب ان تستمع الي .

ـ ولماذا ؟ فالقضية انتهت . ألم تسمع ما قاله الملازم ؟ واراد متابعة طريقه فتبعته . قال لي :

ـ اسمع يا كانن ... لقد نبهوك بعدم البقاء هنا ، من الافضل لك ان تذهب من هنا لانك اذا بقيت فستتعرض ولا شك للمتاعب .

فأجبته بصوت اجش ممسكا من ذراعه هذه المرة .

ـ يجب الا تتركني . لا ... لا تطردني . الا ترى بأية حال انا ؟ انني الآن كرجل محبوس في غرفة مظلمة ، دامسة يطلب عودا من ثقاب ... انني كالذي يغرق ويطلب النجدة . انا لا اقدر على الخلاص وحدي ...

لم يكن هناك احد سوانا . ثم ارتخت يداي المسكتان بذراعه وزحفتا الى حافة سترته ورأيت نفسي جاثيا على ركبتي امامه شاخصا ببصري نحوه ... ماذا يهم ذلك ؟ لم يعد مجال للانفة والكبرياء ... كنت مستعدا للزحف على بطني في سبيل الحصول على كلمة واحدة مطمئنة ..

قلت له بتوسل ملح :

ـ انس ... انس انك رجل شرطة وانا اي شيء آخر . انني اتوجه اليك بصفتك انسانا اتوجه كزوج فقد زوجته . ارجوك ... لا تدر لي ظهرك هكذا . لا تبعد يدي عنك . انني لا اطلب منك اي شيء ... اي شيء اطلاقا حتى ولا أن ترفع اصبعك ـ انما كل ما اطلبه هو ان تقول لي فقط : نعم يا كانن كان عندك زوجة . اعطني هذا القبس الضئيل لينير ليلي . قل هذا وان لم تكن مقتنعا به ـ قله ارجوك ...

ورفع يده الى فمه مشيرا لي بالسكوت وذلك اما لاشمئزاز من حقارتي او لقبس ضئيل من عطف مفاجيء لمع في قلبه ... لست ادري ولكن على ما اظن كانت حركته تلك مزيجا من الحالتين معا . ثم قال لي بصوت متهدج كأنه حسم للموقف الذي وضعته فيه ورفعني ليعيدني الى الوقوف :

ـ اعطني اي شيء ... اي شيء مهما كان صغيرا يدل عليها انها كانت موجودة . يدل على وجود شخص بهذا الاسم خارج مخيلتك والحقك الى النهاية مهما كلف الامر اعطني دبوسا صغيرا من دبابيسها او ذرة مسحوق

من مساحيقها او شعرة واحدة فقط من شعرها واثبت لي انها كانت لهـا ... وبدون هذا لا اقدر ان افعل لك اي شيء ...

ـ ليس لدي شيء اريك اياه ... حتى ولا دبوس او شعرة ...

وبتخاذل كلي ويأس مميت تراجعت عنه اريد الذهاب وانا اقول :

ـ ان الذي تفعله معي لا تفعلـه لكلب من الكلاب ... انه اقسـى من ان تقتلني . انك تحجزني مع الاشباح بقية ايام عمري ـ انك تأخذ روحي ، تحكم علي بالجنون البطيء التدريجي، بفقدان العقل ـ ان هذا لا يحصـل بسرعة ولكن عاجلا ام آجلا .بمـدة ستة اشهر او سنة ... من يدري . ولكن اظن انك حقا لا تستطيع شيئا من اجلي .

تركته وذهبت ـ كنـت اسـير كالسكران ... كالاعمى كانسان فقد اهم شيء في كيانه ـ مررت قـرب سيارتي وتركتها مكانها ، انها لم تعد تلزمني ـ لم اعد بحاجة لها .

وسرت طويلا ولمسافة بعيدة ، ثم لمحت فجأة لافتة صيدلية منارة (الليل قد هبط الآن) في الجهة المقابلة ... وتوجهت اليها . يجـوز اني مـررت امام صيدليات غيرها . ولكن ها هي ذي التي لاحظتها فقط . مددت يدي الي جيبي ووجدت ريشة مـن ريش النعام كنت استعملها لتنظيف اسناني بعد الاكل ثم اخذتها وخدشت بهـا طرف اصبعي وسالت منـه قطـرة صغيرة من الدم ودخلت الى الصيدلية وقلت للمستخدم : ـ لقد جرحتنـي قطتي قليلا ـ اعطني قنينة من صبغة اليود .

ـ هل تريد ان اضع لك قليلا منها انا ؟

ـ كلا ... شكرا . اعطني قنينة بكاملها . لا يوجد لدينا منهـا فـي البيت ودفعت له ثمنها واخذت دليـل الهاتف افتش عن رقم لـم البث ان وجدته . وذهبت الى اول كابين فتحت بابه ودخلت ثم رفعت قبعتـي عـن رأسي وجلست وامسكت بالسماعـة وحللت رباط عنقي لاكون مرتاحا ... واخذت بتمزيق الورقة التـي تلـف القنينة واستجمعت كـل شجاعتـي ورفعت القنينة الى فمي ...

وفجأة شعرت بضربة قوية صاعقة اطاحت الزجاجة من يدي وراحـت تتحطم على جدار الكابين وقد سال منها كلما تحتويه، والتفت واذا بأنسلي يمسكني بقوة بذراعي ويجذبني نحو الباب بدفعة قوية افقدتني توازنـي ويقول :

ـ هيا يا مجنون ... هيا اخـرج من هنا .

ولـم يتفوه بأية كلمة حتى وصلنا

الى الرصيف المقابل للصيدلية ، ثم توقف واخذ يتفحصني من قمة رأسي الى اخمص قدمي كما لو انني كنت جرثومة من الجراثيم . وقال :

ـ اني على ما شاهدت كنت تستحق ان اتبعك كل هذه المدة .

كنا الآن قد وصلنا الى سيارتي وكنت قد تركت المفاتيح فيها ـ ودل اليها بسباتيه وذهبت وصعدت اليها وجلست امام المقود بينما بقي هو خارجا ـ قلت له بأسى :

ـ لا استطيع العيش مع الاشباح يا أنسلي ـ اني خائف . خائف جدا من المستقبل . انك لا تستطيع معرفة كيف ستكون ايامي ولياليي منذ الآن . يجب ان اختفي حالا وبسرعة . ارني اياها ولو معلقة على خشبة واراهنك باني لا ابدي اي شكوى . ارني اياها مقطعة اربا اربا واقسم لك بأني لا ادع اية جارحة من جوارحي تهتز . ارني اياها بأية حالة مهما كانت تكن لا تقل لي انها لم تكن .

ـ لقد شككت بما تنوي منذ الوقت الذي شاهدتك فيه تخدش اصبعك بريشة تنظيف اسنانك .

كان ينظر الي نظرة الم وانا احل المنديل الذي ربطت به اصبعي . لقد كان الخدش طفيفا للغاية فلم يترك سوى آثار بسيطة للدم ، لقد شاهدناه نحن الاثنين معا . ثم انفتح المنديل من تلقاء نفسه وحينئذ شاهدنا في احدى زواياه حرفين : (أ ـ ب) وهفت منه رائحة عطرية خفيفة شعرنا بها ، كانت خفيفة جدا نظرا لصغر المنديل. ثم نظر الواحد منا للاخر نظرة ذات معنى واكتشفنا معا الاكتشاف ذاته . . ولكن انا الذي تكلمت اولا بلهجة حزينة .

ـ انه منديلها . . . منديل الامرأة التي لم توجد الا في خيالي .

ـ اننا لا يمكن ان نجد احسن من هذا لايضاح الامر . . . ابتعد ، اريد ان اقود السيارة انا بنفسي . .

وهكذا كانت طريقته ليقول لي : « انني مستعد الآن كل الاستعداد لمساعدتك . ثم قلت له ايضا : ـ لقد تذكرت الآن . . . لقد اعطتني اياه لانتزع لها بواسطته ذرة من الغبار استقرت في عينها واظن اني قد نسيته معي ولم اردّه لها . . .

ثم وجهت اليه نظرة عتاب وانا اتابع :

ـ كيف ان بضع سنتمرات مربعة من القماش تغير مجرى الامور . . . انني بدون هذا المنديل كنت مجنونا وبه اصبحت رجلا عاقلا يستحق مساعدتك . . . الا يمكن ان اكون قد اشتريته من احد المحلات ؟؟

ـ كلا . لم تستعمله عندما كنت بأمس الحاجة اليه في الدائرة . ولم

تجده عندما اردت شرب قنينة اليود ومنظرك يدل عليك انك نسيته كليا . اني اعتبر هذا يغير كل شيء . على الاقل بالنسبة لي شخصيا .

ـ وماذا تريد ان تصنع الآن ؟

ـ بما اننا لا نعترف بالخوارق الفائقة الطبيعة فالنتيجة الحتمية هي انه لا بد ان يكون هناك تدخل بشري في الموضوع .

وكنت الاحظ الاتجاه الذي يسير به فسألته :

ـ الا تريد العودة الى فندق رويال ؟

ـ من غير المجدي اضاعة وقتنا هناك . هل فهمت ماذا اعني ؟

ـ كلا . ولكن هناك اختفت .

ـ ان مركز هذا التدخل العجيب ليس الفندق . انما بعيدا عنه رغم ان اصحابه يمكن ان يكون لهم ضلع في الامر . ولكن القاضي ؟ وآل براسفورد في ليك سيتي ؟ اظن انه من الاسهل محاولة ايجاد السبب . سبب الاختفاء قبل ان نحاول ايجاد ميكانيكيته ... وهذا السبب ليس هنا . لانك جئت بها الى الفندق من عند القاضي والى القاضي من ليك سيتي . فالفندق كان آخر محطة لكما ... اذن لنجد السبب الذي من اجله ينكر موظفو الفندق رؤية امرأتك . وكذلك عندما نعرف السبب الذي من اجله ينكر آل براسفورد وجود خادمة عندهم وبذلك لا نعود بحاجة لمعرفة سبب نكران القاضي . ثم اذا وجدنا اي شخص يعلم اي شيء فاننا لا نعود بحاجة لمعرفة سبب نكران آل براسفورد ، في كل هذه القضية يجب علينا ان نقترب تدريجيا من الاساس . والآن حدثني قليلا ... منذ متى تعرفها والى اي حد وماذا تعرف بالتأكيد عن كل ما يختص بها .

ـ اني لا اعرفها منذ مدة طويلة ، وبالفعل معرفتي بها غير قوية ، انها قصة كالتي تقرأها في الكتب ، شاهدتها منذ مدة اسبوع انتهى البارحة مساء . كانت تجلس على مقعد في احدى الساحات العامة كما لو انها كانت وحيدة في العالم ، لا انيس لها ولا جليس . وانا لم اعتد معاكسة الفتيات اللواتي يجلسن منعزلات في الساحات العامة . ولكن كان يبدو عليها الاسى العميق . فرثيت لحالها . بالاختصار تعرفت بها . ثم رافقتها الى المكان الذي قالت انها تسكن فيه . ولكن عندما وصلنا اليه بهت وتراجعت لقد كان قصرا فخما من افخم القصور . فقلت لها : ويل لي ... ان المكان فخم للغاية بالنسبة لي . اني لست سوى موظف بسيط في احد المحلات التجارية، وضحكت من قولي هذا وقالت : اني لست سوى خادمة هنا

.. ايزعجك هذا ؟ واجبتها علي الفور: كلا .. ابدا . كنت قد انزعجت لو انك كنت من اصحابه لانك والحالة هذه تكونين من غير وسطي . وبدا عليها ارتياح كبير من كلامي هذا ثم قالت : يا الهي كم انتظرت طويلا حتى وجدت الشخص الذي يحبني لنفسي – يحبني لشخصي بالذات . ولاختصر اكثر اعطيتها موعدا لليوم التالي مساء في نفس المكان وعلى نفس المقعد . وانتظرت ساعتين ولم تأت . ولحسن حظي او سوئه عدت في اليوم التالي ووجدتها هناك ، فشرحت لي عدم تمكنها من المجيء في النهار الفائت . لقد كان عند مستخدميها حفلة او ما شابه ذلك . وعندما عدت بها في ذلك المساء سألتها عن اسمها اذ كنت لا اعرفه بعد . وبدا عليها كأنها خافت من ذلك وارتجفت ثم اخذت تحدق بحقيبة يدها . كان يوجد عليها هذان الحرفان – أ – ب – ثم قالت : أليس براون .

في المرة الثالثة التي تقابلنا بها كنا قد اصبحنا مغرمين جدا الواحد بالآخر . لقد تمكن منها حب عنيف ثم سألتها اذا كانت تخاطر وتقبل الزواج مني . واجابتني :

– هل من الممكن ان يطلب احد للزواج أليس براون الصغيرة الفريدة التي ليس لها احد في العالم ؟ قلت لها نعم وهكذا عقدنا العزم . ولكن عندما تركتها ذلك المساء شعرت انها كانت مضطربة من شيء ما . ففكرت اولا انها قد تكون خائفة من ان اغير رأيي او ان اخدعها . غير انه لم يكن الامر كذلك . وقالت لي : « لنعجل يا جيمي .. لنعجل في زواجنا ولا نؤخره كثيرا .. لنتزوج بأسرع ما يمكن » . ثم امسكتني بيديها الاثنتين من ذراعي . وفي الغد طلبت اجازة اسبوع من مركز عملي كانت قد بقيت لي من فرصة الصيف الفائت . وجئت انتظرها ،حسب ما اتفقنا عليه ، بسيارتي في منعطف يبعد قليلا عن القصر الذي كانت تعمل فيه . لقد جاءتني راكضة لاهثة كما لو ان الشيطان كان يلحقها . ولكني ظننت انها حضرت كذلك كي لا تطيل علي الانتظار . ولم يكن معها سوى حقيبة سفر صغيرة . وقفزت الى السيارة . وكان وجهها شاحبا وقالت : اسرع .. اسرع يا جيمي . وذهبنا . وبقيت هي طول الطريق منذ لايك سيتي حتى وصلنا الى هنا تلتفت الى الوراء كما لو ان احدا كان يلاحقنا .

بعد هذا الكلام الطويل لم يتفوه انسلي سوى بخمس كلمات فقط : انها كانت تخاف من شيء ما ..

كان قد مضى علينا عشر دقائق

ونحن نسير ثم عاد وقال : وهــذا الشيء نفسه هو الذي خطفها . . .

توقفنا في محطة البنزين التي كنــا قد عبأنا منها ليلة البارحة خــزان السيارة اليس وانا . وبعد ان تفحصت المستخدمين قلت : ها هوذا الــذي خدمنا بالامس . وناداه انسلي موجها نحوي قنديله الكهربائي وهو يقول : اتذكر انك رأيت هذا الرجل الليلــة الماضية وكانت ترافقه فتاة ؟

ــ كلا يا سيدي . لست انا . من الجائز ان يكون احد غيري .

اننا لم نكن نستطيع رؤية يديه . لا هذه ولا تلك . كانت وراء بــــاب السيارة . عندئذ قلت لانسلي : انه يحمل على ظهر يده اليمنى آثار جرح ابيض . لاحظت ذلك عندما كان يمسح الزجاج الامامي . وامره أنسلــــي ان يرفع يده . وشاهد ذلك فعــلا . لقد كانت يده اليمنى تحمل آثار الجرح فقال انسلي :

ــ الآن ماذا بامكانك ان تقول ؟

لم يبد اي ارتباك واجاب فورا :

ــ اني اقول ايضا كلا . قــــد يكــون رآنــي في وقت او آخر ولكن انا لم اشاهده اطلاقا .. علــى حد علمي لا وحده ولا مع امرأة .

وانتظر دقيقة ثم استطرد :

ــ ولكن لماذا انكر لو كان ذلـــك صحيحا ؟

اجابه انسلي :

ــ سنعود يوما .. قد يكون غدا او بعد اسبوع او بعد شهر . ولكــن حتما سنعود لنوضح هذه القضية .

وتابعنا سيرنا . وفي الطريق قلت له :

ــ ان هذه البضعة سنتمتـــرات المربعة من القماش لا تعمل شيئا اذا طال الامر هكذا . واجابني وهو ينظر امامه :

ــ لا تخف .. هون عليك . اني عندما اقتنع بشيء يصبح من العسير علي ان اتراجع عنه بسهولة .

وبعد مضي نصف ساعة كنا امــام (ر . ن . ٩) وانتصب فجأة امامنـــا بيت ابيض وقلت :

ــ ها هنا تزوجت البارحة احــد الاشباح ..

ثم توقف واراد النزول ولكنــــي استوقفته قائلا :

ــ اسمع قبل ان تدخل .. ان ما سأقوله لك يمكن ان يأتي مساعــدا للمنديل . ستجد مرآة مستديرة فــي المدخل علــى يســار الباب ، مــع قرون وعل فوقها تستعمل كعلاقـــة .. وفي الردهة حيث تمت مراســم الزواج ستجد بيانو مع شمعـــدان من نحاس فوقه . وستجد عليــه ايضا شرشفا ينتهي بأشرطة تخريج . وفي دفتر « النوتة » قطعــة مــن

الموسيقى بعنوان « اغمرني ايضا » وعلى الجدار رسم لفواكه تنسكب من سلة . والخادمة تدعى دورا . واستوقفني قائلا :

ــ لا تتعب نفسك . قال لي بذلك الصوت الخالي من اي تعبير والذي كان يتميز به : الم اقل لك اني صرت معك الآن وتبنيت قضيتك ؟

ونزل من السيارة ورن الجرس وكنت اتبعه طبعا . انهم لم يفتحوا الباب بسرعة . لقد كانوا نائمين . ثم جاءت الخادمة وفتحت الباب وتفحصتنا جيدا وقبل ان تقول كلمة واحدة سمعنا القاضي ينادي :

ــ من هذا يا دورا ؟

وطلب انسلي مقابلته . ثم سوى ربطة عنقه امام المرآة المستديرة على يسار الباب ونظر الى قرون الوعل فوقها .

وبعد وقت قصير نزل القاضي وقال له انسلي :

ــ لقد زوجت هذا الرجل الليلة الماضية من فتاة تدعى أليس براون . انه لم يكن سؤالا ولكن القاضي عارض رأسا وقال :

ــ كلا . لقد سئلت منذ مدة بواسطة الهاتف وقلت كلا . اني لم اشاهد ابدا هذا الشاب . ثم وضع نظارتيه على عينيه ليميزني جيدا .

لم يشدد انسلي عليه وبدا كأنه صدقه ثم قال له بلهجة جافة :

ــ اني لا اسألك ان تريني سجلاتك دون شك ستؤكد ما تقوله .

وذهب نحو الباب والقى نظرة عابرة على الداخل . وكنت كذلك انظر من وراء كتفه . لقد كان كل شيء كما وصفته لانسلي . واجاب القاضي :

ــ طبعا ان سجلاتي تؤكد صحة قولي :

وهنا تدخلت الخادمة قائلة :

ــ اني اقف شاهدة لكل زواج يتمه القاضي . لهذا اؤكد لك بان هذا الشاب مخطىء واني لا اتذكر ابدا بأني ...

عند هذا امسكني انسلي ليمنعني من السقوط وجذبني من ذراعي واخذني الى الخارج حيث صعدنا الى السيارة . واقفلوا الباب وراءنا بشيء من العنف وبيأس وانزعاج وعصبية اخذت اضرب على مقود السيارة قائلا :

ــ ماذا يجري ؟ هل هي مؤامرة ؟ ولكن لماذا ؟ لست انا بتلك الشخصية المهمة ولا هي كذلك .

وسار انسلي ثم اختفى المنزل الابيض وراءنا في الليل الاسود .

ــ انها مؤامرة دون شك قال انسلي بصوت خفيض . يجب ان نجد السبب . انها الطريقة الاسرع

والاضمن لتوضيح الاشياء . ولكن ان نأخذ الاطراف الضعيفة في هذه القصة : خادم الفندق او عامل المحطة مثلا ثم نستنطقهم فذلك يأخذ وقتا طويلا . يومان او ثلاثة او اكثر . وفي النهاية قد لا نصل الا الى شيء تافه : اشخاص مجهولون جاءوا اما بواسطة التهديد او بواسطة الاغراء واجبروهم على نكران مشاهدة هذه الامرأة . وبهذا لا نكون قد تقدمنا سوى خطوات قليلة . اما اذا اكتشفنا السبب الذي هو الاصل في القضية ، الينبوع منها نكون قد استغنينا عن هذه الاشياء الفرعية الثانوية . ولاجل ذلك سنعود الى ليك سيتي عوضا عن اضاعة الوقت في فندق (ماشينيا بولس) هذا .

وصلنا الى ليك سيتي حوالي الساعة الواحدة صباحا وارشدته الى شارع نيوهمشاير . كان الرقم ٢٠ من تلك البنايات الضخمة ذات الزوايا العديدة . لقد وصلنا اليها من الناحية الخلفية في الشارع الجانبي وتوقفنا امام مدخل الخدم حيث كنت دائما اعود بها . كانت البناية مظلمة . لا يظهر منها اي نور . حاولت النزول من السيارة فأستوقفني انسلي قائلا :

ــ انتظر لا تنزل . قل لي . عندما كنت تعود بها الى هنا كنت تتركها امام هذا الباب اليس كذلك ؟

ــ نعم .

ــ هل كنت تشاهدها تفتح الباب وتدخل ام كنت تتركها فقط هنا وتبتعد دون النظر لترى اين تذهب ؟

وشعرت برعشة خفيفة من الخوف لاني لم انتبه لهذا الامر اطلاقا .

وقلت له :

ــ اني لاول مرة انتظرت حتى ارى ذلك . اني انتبه لهذا الآن فقط . يبدو لي على ما اذكر انها كانت تحثني على الذهاب سريعا دون الانتظار . لم تقل لي ذلك ابدا ولكن هكذا كنت اشعر . وكنت اعزو تصرفها هذا الى انها لا تريد ان يعرف مستخدموها بخروجها مع احد الناس .. وكنت اذهب من هنا .. وارشدته الى الزاوية خلفنا المطلة على الشارع المجاور . وعندما كنت اصل الى هناك كنت كل مرة التفت الى الوراء كما يفعل جميع المحبين عادة . وكل مرة كنت لا اراها . كنت اظن انها دخلت .. ولكن هذا غريب حقا لم اشاهدها اطلاقا وهي تدخل . وهز انسلي رأسه بطريقة غامضة وقال :

ــ هذا تقريبا ما كنت افترضه . انه ليس بالبعيد ابدا الا تكون قد دخلت الى هذا المكان اطلاقا او ان تنتمي اليه بحال من الاحوال . بضع خطوات سريعة كانت تكفيها لتصل الى الجهة الثانية من البيت

وتصبح خارج مجال نظرك . وعندما تصير في المدينة اذهب وفتش عنها حينئذ .

وقلت له بانفعال وارتباك ظاهرين:

ــ ولكن لماذا ؟

لم يجب انسلي بشيء . اننا لم نكن قد فحصنا واجهة البناية بعد . فكما قلت كنا قد وصلنا اليها من الوراء . ونزل من السيارة ونزلت معه . وقطعنا الامتار القليلة حتى وصلنا الى زاوية الشارع واتجهنا الى اليمين ثم اخذنا نفحص البناء من اعلى الى اسفل .

كان بناء فخما من الحجر . ورغم اننا كنا نشاهده في الليل كانت الاناقة واضحة عليه . لقد شاهدنا نورا من بعض النوافذ في الطابق الاول ولكنه نور ضئيل اشبه شيء بنواصة . وهو لم يكن يسطع الى الخارج غير انه كان يتموج من خلال النافذة . وشاهدنا شيئا يتحرك امام الباب . ولو لم يكن البناء من الحجر لما استطعنا تمييز ذلك الشيء . لقد ميزناه حالا . واخذت ذراع انسلي وغمرني خوف أخرس يشبه ضربة السكين الحادة ... ولكن لماذا ؟ لم اقدر على ايضاح ذلك . قال انسلي :

ــ ان هذه الاشارة تدل على وجود جنازة في هذا المنزل . اظن اننا نفعل جيدا لو القينا نظرة على الداخل . فلا يهم اكانت دخلت الى هنا ام لم تدخل .

وتقدمت نحو الباب اريد الدخول ولكنه استوقفني بعنف قائلا :

ــ اتظن انني سأدخل من الباب ثم اصعد الى السلم وحين التقي بأصحاب البيت ابين اشارتي لهم هكذا بهذه السهولة ؟

ــ ولكن كيف اذن ؟

وفي هذه اللحظة توقفت وراءنا شاحنة والتفتنا فاذا بها تقف امام الرقم ٢٠ في شارع نيو همشاير . كانت تحمل كمية من المقاعد التي تقفل وتفتح حسب الحاجة . قال انسلي :

ــ لقد جاءت في الوقت المناسب .. اليك كيف سندخل .

وعدنا نحو الشاحنة ونزل منها السائق ومعاونه وباشرا بانزال الحمولة من السيارة وابتدرهما انسلي قائلا :

ــ اظن ان هذه المقاعد لاحتفال الغد . اليس كذلك ؟ ثم سأل السائق: من المتوفي يا ترى ؟ واجابه السائق متعجبا : لا تقل لي انك لم تسمع بالخبر . انه منشور في جميع الصحف .

ــ اننا غرباء عن المدينة .

ــ انها « ألما براسفورد » الوريثة.

اغنى الاغنياء في الولايات الاربع والعشرين المجاورة .. انها كنز ثمين لوليها . انه وريثها الوحيد الآن لا يوجد احد غيره ليلتقط الغنيمة .

ــ ولكن ما سبب وفاتها ؟

ولاول مرة منذ ان عرفت انسلي سمعت نبرته تغيرت . فبعد ان كانت جامدة غامضة خالية من اي تعبير سمعتها الآن تتمدد وترن كأن اوتار حنجرته شدت شدا عنيفا . اجابه السائق :

ــ كانت سبب الوفاة نوبة قلبية . وهكذا انتهت فجأة . فالغني والفقير عندما تحين ساعته يا اخي لا بد ان يرحل .

وسأله انسلي سؤالا اخيرا :

ــ ولماذا تأتيان بالمقاعد في مثل هذه الساعة المبكرة ؟ طبعا انهم سوف لا يقيمون الاحتفال اثناء الليل ؟

ــ كلا ولكن في الصباح الباكر . واذا لم نأت في هذا الوقت فاننا نخاف ان نتأخر .

واظهر له انسلي اشارة البوليس وهو يقول :

ــ سأقول لكما ما يجب ان تفعلاه .. سأريحكما من انزال كل هذه المقاعد وستربحا بعض النقود فوق هذا . وليس عليكما سوى ان تعيرانا مئزريكما ثم تذهبا الى السيارة وتقبعا فيها دون اي حراك ... فهمتما ؟

واعطاهما شيئا لم اعرف قيمته واخذنا منهما المئزرين ولبسناهما فوق ثيابنا وعدنا الى المقاعد . وذهب انسلي وقرع باب الخدم وبعد وقت قصير ظهر نور خافت ثم انفتح الباب ... وظهر امامنا رجل اجوف الخدين اشقر الشعر لا يمكن تقدير عمره . ولم نعرف أهو موظف مكتب ام خادم . على كل حال ابتدره انسلي قائلا :

ــ ها هي ذي المقاعد من كنيسة (تاب) . اين تريدون وضعها ؟

اجابه الرجل بصوت خافت :

ــ تعال معي . ولكن على مهل بقدر المستطاع . ها اننا الآن فقط قد توصلنا لاقناع السيد هاستنغ بالنوم ليرتاح قليلا .

وقلت في نفسي انه الولي طبعا . وبهذه الحال يكون هذا الرجل سكرتيره الخاص . ثم اخذ كل واحد منا حزمة من المقاعد وتبعناه . لقد كان بامكاننا الاسراع في عملنا . ولكن انسلي بغمزة من عينه افهمني بأن اتباطأ وذلك لنأخذ اكثر وقت ممكن للملاحظة في الداخل .

ولجنا في رواق قصير ثم صعدنا بضع درجات ودخلنا الى المطبخ المضاء . كانت تجلس فيه امرأة ترتدي لباس المربية . انها

تبكي وامامها فنجان من الشـــاي وكانت تردد المرة بعد المرة : « مسكينة طفلتي الصغيرة » والاسى العميق باد عليها .

تابعنا سيرنا وراء السكرتير وقطعنا ردهة ثم قاعة الطعام ووصلنا قاعة اخرى كبيرة معتمة تطل على الشارع .. كانت منارة ببضع شمعات يتلوى نورها الخافت ويضفي على المكان رهبة كئيبة . انها دون شك القاعة التي شاهدنا نورها من الخارج .

كان يجثم في وسطها تابوت مفتوح يرتفع عن الارض تحيطـه الزهـور وعلى جانبه شمعدانان ويغطي داخله شرشف ابيض وفي نهايته كان يبدو منه شيء صغير كأنه الانف يطفو قليلا فوق الازهار .

عند هذا المنظر اقشعر جسـدي وشعرت بخوف بارد يدب في انحائه لم افهم سببه او اني تجاهلت سببه . كنت اشعر كأنني قريب من شيء ليس بالغريب عني .

كان باقي القاعة فارغا . فالاثاث الاصلي كان قد نقل .

قال لنا الشخص الذي يرافقنا :

ــ ضعا المقاعد على اربعة صفوف حول النعش واجعلا ممرا في الوسط .. وانتبها لتتركا مكانا كافيا للكاهن الذي سيقيم الاحتفال .

ثم تراجع نحو الباب وبقي برهة يلاحظنا .

اخذ انسلي سكينا من جيبه وابتدأ يقطع الحبل الرفيع الـذي يربـط المقاعد بعضها ببعض واخذت انـا اصفها حول التابوت ببطء كلي . ثم سمعنا ضجة خفيفة . كان السكرتير قد ذهب الى المطبخ لقضاء حاجة له .

وهنا نبهني انسلي بحركة سريعة لانظر داخل النعش . عند هذه الفكرة جمد الدم في عروقي ولكني وضعت المقعد الذي بيدي وتقدمت قليلا بخطـى وئيدة . لقد احدث اقترابي ارتجاجا في نور الشموع واخذت ترتجف وكادت تنطفىء وشعرت بعرق بارد يتصبب على جبيني . ثم توجهت نحو رأس التابوت .. نحو الموضع الذي يظهر فيه الانف فائضا فوق الزهـور . واخذت الشرشف بهدوء ولطـف متناه محاولا رفعه عن الوجه من الجهة التي يلتصق بها مع جانب النعش . كانت يدي ترتجف .. وكنت منفعـلا مضطربا . وفي اللحظة التي كنت ارفع فيها الغطاء الجنائزي سمعت انسلي يتنحنح منبها اياي الى ان احدا قد جاء . ثم سمعنا في الغرفة المجاورة وقـع خطوات خفيفة وتركت كل شيء بسرعة وبقفزة واحدة عدت الى مكانـي الاول اصفف المقاعد . كان السكرتـير اللعين هو بعينه قد عاد ثانية واخذ يوجه الي نظرا حادا . عند ذلـك

تصنعت انني اقيس المسافة بين النعش وبين المكان الذي يجب ان اضع فيه المقاعد مفسحا المجال الكافي للكاهن . قال لي السكرتير وهو يزم شفتيه :

ـ انك بطيء جدا بعملك يا هذا .

واجابه انسلي :

ـ الا تريد ان يكون كل شيء بموضعه حسب الاصول ؟ الا تريد ذلك ؟

ثم خرج ليأتي بالحزمة الثانية من الكراسي . وتظاهرت هنا بمعالجة احداها كي تنفتح وذلك ربحا للوقت واطالته قدر المستطاع . ولكن السكرتير كان كثير الانتباه . فتأخر هو كذلك . لم يترك هذه المرة انسلي الامور تسير معاكسة له . فانتظر حتى اصبح وسط الطريق ورمى الرزمة على الارض محدثا ضجة عالية ليثير اليه انتباه ذلك السكرتير اللئيم . ونجحت الخطة . وسمعته يصعد صرخة مكبوتة ويذهب مسرعا نحو انسلي . وفي هذه الاثناء قفزت كالقط نحو النعش ورفعت الشرشف بسرعة ونجحت هذه المرة . ثم اخذ نور الشموع يدور حول رأسي دورانا عنيفا مؤلفا خطا من نار كأنه احد الشهب . ان الوجه الجامد القابع في النعش كان وجه أليس نفسها .

شعرت بركبتي تصطكان تحتي وخارت قواي شيئا فشيئا . كنت كالسكران واخذت اتمايل حول النعش . وسمعت خطوات آتية نحوي ولم اعلم اكان انسلي ام سواه .. ثم ارتطمت رجلي بأحد المقاعد وشعرت بذراع يطوق عنقي محاولا رفعي . عند ذلك فقط عرفت انه انسلي وقلت له بصوت بعيد .. بعيد :

ـ انها اليس .. اليس . انا لا افهم من هذا شيئا . هل هي نفسها تلك الغنية الما براسفورد ؟

ثم تركني واقترب من النعش وانتزع الشرشف بعنف وانحنى فوقه ليميز جيدا . واستدار نحوي قابضا على ذراعي بقوة لم اشعر بمثلها في حياتي . كانت قبضته ككماشة من فولاذ تريد ان تكسر عظمي . ثم اشار الى النعش قائلا :

ـ انظر .. انظر جيدا .

لم افهم اول الامر ماذا كان يقصد . وهزني ثانية بعنف وذلك اما ليفهمني او لانه هو ايضا كان مضطربا مثلي وقال :

ـ انها ليست ميتة .. لاحظ صدرها .

وصوبت نظري .. ان حركة التنفس لبطئها وضعفها لم يكن بالامكان الانتباه اليها الا اذا حدق المرء

النظر في موضع واحد ولمدة طويلة على الصدر في المكان الذي يلتصق فيه الشرشف بجدار النعش . في ذلك المكان رأيت الغطاء يهبط ويرتفع بحركة خفيفة رتيبة ومنتظمة . انها تتنفس .

قال لي انسلي :

ــ انها مخدرة .

وفجأة تركني بسرعة مادا يده الى وسطه شاهرا مسدسه من فوق كتفي نحو باب القاعة قائلا :

ــ اتركه من يدك والا نخرتك كالغربال .

ثم سقط شيء على البساط محدثا صوتا قاتما . فالتفت ورأيت السكرتير يقف الى الباب رافعا يديه والمسدس على الارض قرب رجليه وامرني انسلي قائلا : اذهب والتقطه ــ ها اننا نمسك البداية ــ وحصادنا جاء مؤاتيا .

كان وراء انسلي على ما اظن باب يؤدي الى الطابق العلوي . وكان مغطى برداء كثيف من السجاد طيلة الوقت الذي كنا اثناءه في القاعة . ونحن لم ننتبه اليه . اذ اننا كما وصفت دخلنا الى المكان من مدخل الخدم الخلفي . ولا بد ان يكون قد جاء من هذا الباب نفسه . كنت قد انحنيت امام السكرتير الجامد وفي اللحظة التي اقتربت فيها يدي من السلاح الساقط امامه سمعت صوت ضربة عنيفة ثم صرخة شبيهة بصرخة من يقع في غيبوبة . وبحركة من رجليه دفع السكرتير المسدس بعيدا عني ثم ارتمى علي بكل ثقله واخذ يوجه الى رأسي ضربات عنيفة متتالية .. لم يكن لديه سوى قبضتيه فقط والضربات التي كان يوجهها لم تكن بالعنف الكافي لتفقدني الرشد . امسكت السكرتير بسترته بكلتا يدي وبحركة عنيفة مني دفعته دفعة قوية ابعدته حوالي المتر تقريبا ثم حاولت الوقوف والهجوم عليه غير اني شاهدت وراء انسلي المنبطح على الارض ووجهه الى اسفل فاقدا الوعي تماما ، رجلا انيقا في ملبسه وبيده مسدسه يوجهه الي وسمعت السكرتير يقول :

ــ اجهز عليه يا سيد هاسننكز .

غير اني في هذه اللحظة كان يلزمني اكثر من مسدس ليوقفني وخصوصا بعد الذي شادهته ولمسته . ثم هجمت من فوق انسلي . لم يبد على الرجل انه يريد اطلاق النار خوفا من اثارة الضجة والفضيحة . وقلب مسدسه من جهة المقبض ورفعه فوق رأسه ورأسي ثم سدد الي ضربة عنيفة تطاير الشرر من عيني على اثرها وسقطت على الارض امامه بلا حراك فاقدا الوعي .

بعد ان عدت الى رشدي بقيت

ساعة كاملة تقريبا غارقا في ظلمة دامسة .. حالكة كأنها ظلمة القبر . ظننت بادىء الامر اني فقدت بصري لقوة الظلمة المحيطة بي . كنت اجلس على شيء بارد مربوط اليدين الى الوراء قرب شيء بارد ايضا ورطب .. انه دون شك احد قساطل المياه . وكانت رجلي كذلك محكمة الربط وفمي . وكنت اشعر بألم حاد في رأسي .

وبعد وقت طويل ظننه قرنا من الزمن ظهر قبس ضئيل احمر بدد الظلمة نوعا ما حولي . وشعرت بارتياح جزئي لشعوري بسلامة نظري على الاقل في الوقت الحاضر . واخذ النور يتزايد شيئا فشيئا . ولاحظت اولا على الجدار نافذة صغيرة محددة اخذ نور الفجر الوليد يدخل منها . ثم لاحظت القبو بأجمعه . انه ولا شك كان تحت بيت شارع نيو همشاير حيث دخلنا قبل بضع ساعات . واخيرا رأيت انسلي وهذا مما شجعني قليلا ، قابعا قبالتي بنفس الحالة . مربوط اليدين والرجلين والفم ايضا ... ونقطة داكنة على خده الايمن تشهد بعنف الضربة التي تلقاها .

لقد اكتفينا بالنظر فقط الواحد منا للآخر . وكانت الوسيلة الوحيدة الممكنة للاتصال فيما بيننا . كان باستطاعتنا تحريك رأسينا . وحرك انسلي رأسه كأنه يقول هازئا : اننا في موقف جميل لا نحسد عليه اليس كذلك ؟ واجبته بايماءة مثلها .

ولكن هذا ليس شيئا يذكر بالنسبة لما سيحدث . وابتدأ ذلك منذ نصف ساعة تقريبا . لقد اخذنا نسمع حركة نشيطة متواصلة تأتي الينا من فوق ... من اعلى . كنا نسمع اولا حركة مجيء ورواح متواصلة كمن يود التأكد من ان كل شيء في مكانه مرتب حسب المقصود .. ثم سمعنا صوت شيء ثقيل يوضع قد يجوز ان يكون طاولة او مكتبا او شيئا غير ذلك .

وبدا لنا ان القبو الذي نحن فيه يقع رأسا تحت القاعة الموجود فيها التابوت حيث سيتم الاحتفال الجنائزي .

لقد شعرت برعب قتال يستولي علي ونظرت الى انسلي محاولا افاهمه شعوري . ولكن ذلك كان بدون جدوى فهو يشعر نفس الشعور حتما .

انها كانت ما تزال حية عندما رأيناها البارحة او بالحري في هذا الصباح . ماذا سيفعلون بها ؟ هل سيكملون حتى النهاية رغم ذلك ؟ وسمعنا صوت باب سيارة في الخارج على بعد قليل . يجب ان يكون امام المدخل الرئيسي لهذا المنزل لانه يبعد دقيقة او دقيقتين سمعنا وقع خطوات

فوقنا وحركة في المقاعد . لقد تكرر ذلك سبع او ثماني مرات متتالية . صوت ثم وقع خطوات الرجال الخافت ووقع خطوات السيدات الحاد واخيرا صوت الكراسي .

لم نكن بحاجة انا وانسلي ليقال لنا ما معنى ذلك : انها دون شك كانت حركة المدعوين للاحتفال بالجنازة .

انهم بالطبع دون انتباه وضعونا في ذلك المكان القريب هكذا. ولكنه كان امقت نوع من التعذيب يخطر ببال انسان . هل هي مائتة الآن ام لا ؟ ولكن يجب ان تكون كذلك قبل ان .. لا يمكن ان يكونوا بهذه الدرجة من النذالة . ربما ان الجرعة التي اعطوها اياها كانت مدروسة ليكون لها الاثر الفعال فيما بين البارحة واليوم ... ولكن اذا لم يكن كذلك ... اذا كانت ما زالت حية ؟

كنا نتلوى كما تتلوى الافعى المقطعة . ولم يكف انسلي لحظة واحدة عن محاولة رفع ركبتيه حتى ذقنه . لم افهم بادىء الامر معنى حركته هذه . غير اني عدت وانتبهت .. كان يريد نزع رباط فمه بواسطة ركبتيه . او على الاقل ازاحته قليلا ليتاح له ارسال نداء اوصراخ . وحاولت انا نفس المحاولة. في هذا الوقت خيم صمت رهيب مقلق فوقنا . لم نعد نسمع اية حركة على الاطلاق .. انهم ولا شك يقيمون الاحتفال الآن .

ان الجهة السفلي من وجهي اصبحت الآن كثيرة الاحمرار ... بادية السخونة لفرط ما حففتها في ركبتي ولم اتمكن من الوصول الى نتيجة . وكذلك انسلي . ان استدارة الركبة كانت تمنع الوصول المناسب للفم وبالتالي استعمالها ككماشة . آه .. لو ان احدنا فقط استطاع نزع رباط فمه .. بما اننا كنا نسمعهم بوضوح فما لا شك فيه كانوا سيسمعونا لو صرخنا . ولا يمكن ان يكونوا جميعهم من المتآمرين اولئك الذين يحضرون الجناز . لا بد وان يكونوا من الاصدقاء .

كان وقع النهاية آلم علينا واعنف من وقع البداية رغم ما كانت عليه من قوة التأثير . وسمعنا فجأة ضجة قوية غامضة كأن القوم وقفوا دفعة واحدة وابتدأ وقع خطو بطيء يصل الينا . انهم يدورون الآن حول النعش لالقاء نظرة اخيرة على الفقيدة ... الفقيدة التي ما زالت تعيش .

وبعد خروج آخر شخص وبينما كانت اصوات ابواب السيارات تسمع معلنة تأليف الموكب سمعنا فوقنا وقع خطوات سريعة مركزة نحو جهة معينة حيث كان النعش . لقد دام

ذلك طيلة دقيقتين تقريبا ثم سمع صوت (قدوم) حاد يضرب على النعش .. كدت امس بالجنون من وقعه . لقد كانوا يسمرون الغطاء .

وبعد برهة استغرقت مدة فتح الابواب سمعنا خطوات متعددة تهرع الى المكان نفسه . انهم الحمالون جاؤوا لرفع الجثة واخذها الى الخارج .

وكان سير متزن هادىء سمعناه يبتعد قليلا .. قليلا . لقد اخذوا النعش ليضعوه في سيارة الموتى الواقفة امام الباب .

هنا خفضت رأسي قدر المستطاع مخفيا عيناي حتى لا يراهما انسلي مبللتين بالدموع ... ثم استرعت انتباهي حركة مفاجئة ورفعت رأسي لارى انسلي يهز رأسه بطريقة هادئة رزينة كأنه يقول لي : تشجع . تشجع .. لم نتأخر بعد .

بعد مضي خمس او عشر دقائق من ذهاب النعش سمعنا صوت باب يفتح ووقع خطوات خائفة اخذت تنزل نحونا بواسطة سلم كان ورائي . كان يمكن لانسلي ان يرى القادم اذ انه كان مواجها له . اما بالنسبة لي لم يكن ذلك ممكنا الا بعد ان صارت الخادمة بيننا . تلك الخادمة التي رأيناها في المطبخ تبكي وتنتحب امام كوب من الشاي . انها لم تكف عن النظر وراءها طيلة الوقت وذلك بحركة خوف كبير . كانت تمسك بيدها سكين مطبخ وكانت ما تزال تلبس نفس الثياب التي شاهدناها بها البارحة غير انها كانت ترتدي قبعة سوداء وتضع بيديها قفازين سوداوين مما يدل على انها كانت قد ذهبت مع الجمع الى المقبرة ثم غافلتهم وعادت مسرعة دون ان ينتبه احد اليها .

لقد انهمكت اولا بفك اربطة انسلي وهي تتمتم بصوت مرتعش خائف طيلة الوقت الذي استغرقته لقطع الحبل . كانت تقول :

ــ كم سيكون غضبهم شديدا علي لو عرفوا اني انا التي صنعت هذا . لست ادري ماذا يفعلون بي ... لم اكن اعلم انكما هنا الا عندما سمعت السيد هاستنغ يهمس باذن سكرتيره قائلا : اترك الاثنين الآخرين مكانهما . سنتدبر امرهما بعد عودتنا . من منكما جيمي ؟ لقد كانت تحبه كثيرا المسكينة .. تحبه جدا . لقد سلمتني سرها واخبرتني كل شيء . وكنت اعينها على الخروج طيلة الاسبوع الماضي . كنت انام محلها في سريرها لاوهمهم انها فيه عندما كانوا يأتون ليتحققوا من ذلك . كلا .. يجب الا يصنعوا معكما هذا الصنيع لا لك ولا لصديقك جيمي حتى ولو كنتما

سبب وفاتها . ان الصدمة كانت عنيفة لها . لقد ربيت بدلال ورفاهية .. لم تقدر ان تحتمل فأصابتها نوبة قلبية اودت بها .. مسكينة . انها كانت فاقدة الوعي عندما عادوا بها لست ادري من اين . ولكن لست افهم لماذا اساعدكما ؟ وبالاخص الذي يدعى جيمي . انه ليس سوى طالب للمهر دنيء لا يهمه سوى المال .. هكذا قال السيد هاستنغ . على كل حال ان الزواج لم يكن شرعيا لانها لم تستعمل اسمها الحقيقي . وقد دفع السيد هاستنغ مبالغ طائلة لاتلاف جميع المستندات واسكات جميع من مرت بهم حتى لا يعرف ذلك فيما بعد ويكون سببا للمطالبة بالارث .. لقد قتلت صغيرتي .. نعم قتلتها . ولكن على كل حال كان يجب ان يسلمك للشرطة عوضا ان يفعل هذا .

في هذه اللحظة انتهت من قطع حبل انسلي وبسرعة البرق تخلص من جميع قيوده وفك فمه وقال : انا هو الشرطة . انا هو البوليس . وان صغيرتك قد اغتيلت او انها في طريق ذلك بواسطة هاستنغ هذا نفسه . ليس بواسطة هذا الفتى . انها كانت ما تزال حية في نعشها عند الساعة الثانية من هذا الصباح .

عند سماعها هذا من انسلي صرخت صرخة مدوية كأنها صفارة الخطر وكادت تقع مغشيا عليها ومنعها انسلي من السقوط باسنادها الى الجدار واخذ منها السكين وبلمح البصر فك قيدي ثم سمعناها تقول وهي مخبأة وجهها بيديها : كلا لا يمكن ان يكون ذلك .. ان طبيب العائلة صديق حميم لابيها . وهو بنفسه تحقق من وفاتها . وهو الذي حرر شهادة الموت بيده . انه رجل فاضل .. كلا .. لا يمكن ان يعمل مثل هذا الامر .

ــ اظن انه متقدم في السن اليس كذلك ؟ هل رأى وجهها ؟ سألها انسلي مستفهما . عند هذا السؤال علت وجهها المحمر ملامح بله مفاجىء وفتحت عينيها اكثر مما تستطيع ثم قالت : كلا . كنت بقربه . كان وجهها مغطى . ولكن قبل لحظة كانت ملقاة على السرير . كانت واضحة .. ظاهرة .. انا والطبيب رأيناهم يدخلونها ثم رأينا السيد هاستنغ يسقط الى الارض من هول الصدمة واسرعنا اليه لمساعدته . وعندما عاد الطبيب ليفحصها كان السيد « شيفرس » السكرتير الخاص قد غطى وجهها حتى يراعي شعور السيد هاستنغ .

لقد فحص الطبيب جسدها فقط بناء لطلب السيد هاستنغ نفسه

ولم يشأ ان يكشف لها وجهها كـي لا يراها بذاك المنظر . قال انــه لا يحتمل ذلك .. لقد كانت عزيزتـي المسكينة ما زالت تحمل في عنقهـا ساعة كانت قد اهدتها اياها امهـا قبل ان تموت .

ـ لقد وضعوا جسدا آخر مكانها اثناء غياب الطبيب وهذا كل ما فـي الامر . اما الساعة لا تهمني اذ يوجد الكثير منها قال انسلي بلهجة شرسة. لقد سرقوا جسد فتاة اخرى من عمرها تقريبا ماتت حديثا وذلك من احـد المستشفيات وخدعوكما انت وطبيب العائلة . اني اراهن اذا نقبت جيدا الآن في الصحف فستجدي خبرا صغيرا فيها يعلن عن اختفاء احدى الجثث . المهم الآن هو توقيف الدفن حالا اذ ليس لدي اثبات على كل حال . مـن الجائز ان تكون هي نفسها فـي النعش .. اين سيدفنونها .

ـ في مقبرة العائلة في « سيبرس هيل » .

ـ تعال يا جيمي .. هيا نـادي الشرطة وقل لهم ليذهبوا لملاقاتـي هناك في المقبرة .

لقد اصبح الآن في اعلى السلم .

لم نستطع الدخول الى المقبـرة الا بواسطة اشارة انسلي لانهـا كانت مقبرة خاصة . لقد انزلـوا النعش الآن واصبح غير منظـور وكانوا على وشك طمره عندما وصلنا الى وسطهم . ان آخر شيء رأيتـه كان انسلي يأخذ الرفش مزيحـا التراب عـن النعش . ثـم وجهـت عيني المحمرتين نحو ذاك الاب اللعين هاستنغ الذي حاول الهرب عنـد رؤية دورية البوليس داخلة . ان ثلاثة منهم لم يقدروا على منعي من اللحاق به . ولم اهدأ الا عند سماعي صوت انسلي يناديني قائلا : كل شيء على ما يرام يا جيمي . عد الآن ان بديلتها هي التي في النعش وليسـت هي . عند ذلك عدت الى السكرتير اللعين بينما كان هاستنغ ملقى علـى الارض شبه ميـت .. عدت اليـه كالذئب الشرس محاولا تحطيمه . غير ان الجمع منعني من ذلك . وسألـت صارخا :

ـ ماذا فعلتم بهـا .. ايـن وضعتموها ؟ اين هي الآن ؟

ولاول مرة منذ ابتداء هذه القصة سمعت انسلي يتكلم بنبرة يشـوب تقاطيعها تعبير خاص . قال :

ـ ليس هكذا يحصلون علـى الجواب من مثل هـذا .. خـذ .. بوم ..

واضطررنا للتقدم ست خطـوات لنصل الى المكان الذي اخذ السكرتير

الزنيم يتأرجح فيه بعد هول تلك الضربات العنيفة .

وفعلا كانت طريقة انسلي هي الطريقة الفضلى والسريعة للحصول على الجواب .

★

ان اليس كانت سليمة . اذ بعد ذهاب الجمع من الردهة تولى هاستنغ بنفسه هو وخادمه نقلها ووضعها في غرفة مقفولة تاركين حارسا يحرسها . لقد جرى كل ذلك وهي ما تزال تحت تأثير المخدر . وعلى كل حال كانت ما زالت حية ولكن ليس لوقت طويل .. فالخطة كانت تقضي بانهم بعد ان يعودوا من المقبرة يأخذون الفتاة الى احد البيوت في املاكها البعيدة وهناك بعيدا عن الرقباء يتم قتلها نهائيا ودفنها . فلا من رأى ولا من سمع .

عندما عدنا الى المنزل رقم ٢٠ نيوهمشاير ، وجدنا اليس ، وتولى طبيب البوليس الخاص اسعافها وايقاظها من المخدر هل تعلم من كان اول من اخذها بين ذراعيه ؟

ــ جيمي .. جيمي العزيز .

تنهدت قليلا بين ضمتين طويلتين ثم قالت لي :

ــ لقد برز فجأة وسط الليل هو وستيفرز في الغرفة الصغيرة التي تركتني فيها .

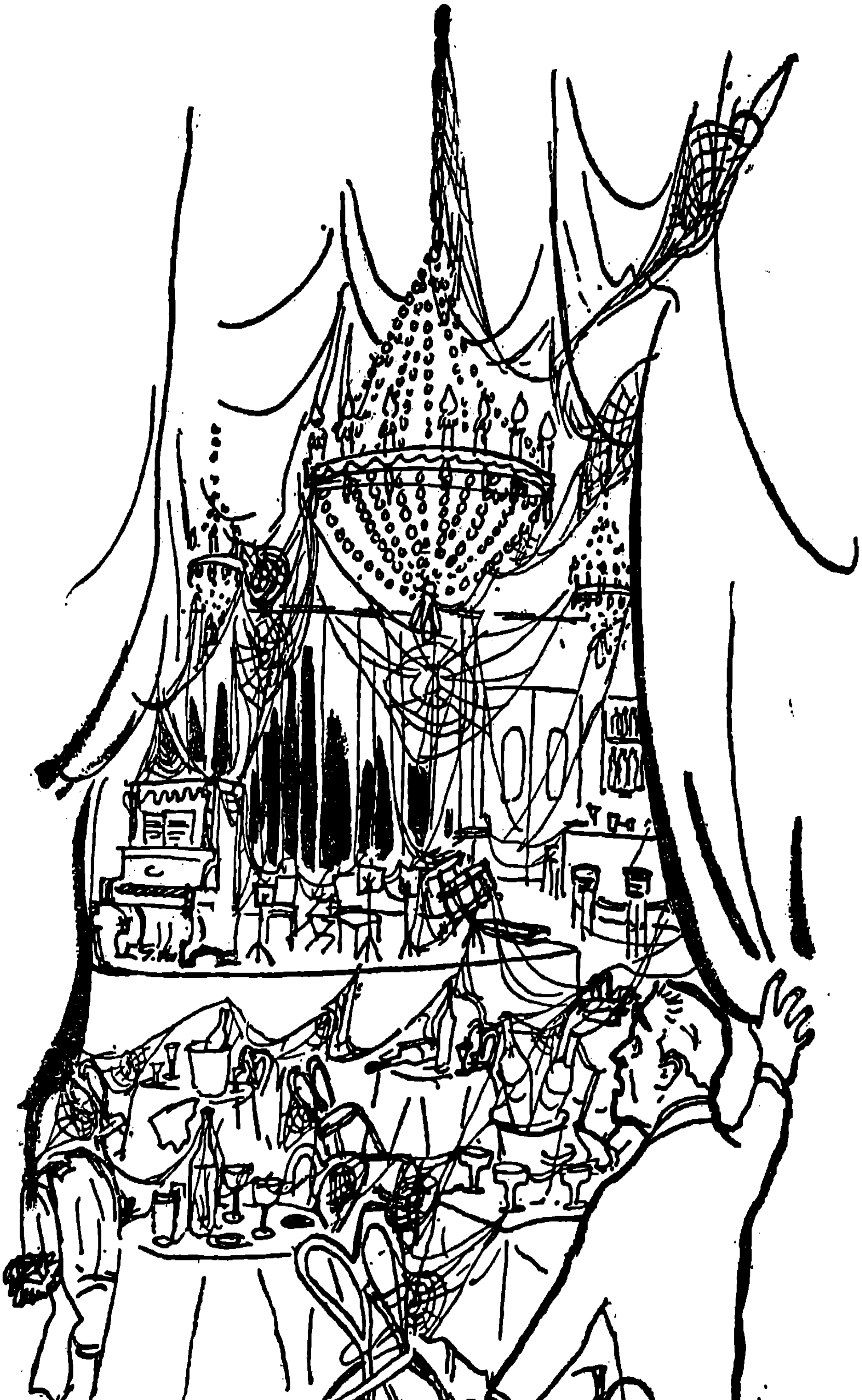
لقد تتبعوا اثرنا خطوة خطوة طيلة الطريق التي قطعناها . وتولوا اسكات جميع من اتصلنا بهم . لقد خدعني عندما قال لي بانه لم يحنق علي وسيان عنده ان تزوجت ام لا . كان النعاس شديدا علي وكنت تعبة جدا . ثم قدم لي كأسا من الماء بدا لي مثلجا اول الامر وشربته وهو يقول لي :

ــ تعالي الى السيارة ان جيمي بانتظارنا . انه معنا ونزلت معهما بخطوات غير ثابتة ... وهذا كل شيء اذكره .

ثم كأنها تذكرت شيئا غاب عن فكرها . .ونظرت الي بعينين خائفتين وقالت :

ــ جيمي كنت تريد الزواج من اليس براون الصغيرة الخادمة . ولكني اخاف الآن بأن تكون الما براسفورد لا تناسبك . ما رأيك ؟

ــ ان خوفك بغير محله . فأنا سأتزوج للمرة الثانية ايضا اليس براون وان اضطررت لتغيير اسمك وهذا الشخص المخيف الهائل الموجود وراءك والذي يدعى انسلي سيكون شاهدنا . فهو الرجل الوحيد في العالم الذي صدقني وصدق وجودك .



من أ. ب. الى أ. ك.

بقلم لـــي ميللر ووايـــن هاملتون

انه راي شائع وغريب في نظري . فأكثر الناس يظنونك غنيا كبيرا عندما تكون تملك العقارات والابنية .

كنت احب ان يكون ذلك صحيحا . اما بالنسبة لي وبكل اسف فقد كان الامر غير هذا .

هل سمعتم بالملاكـين الفقــراء ؟ والضرائب ؟ هذه هي حالتي .

اذ لولا ذلك لما كنت اضطررت الى بيع تلك البناية القديمة في احد اطراف المدينة . فأنا لم اعرضها للبيع لحكم صدر علي ولكن لاني احتجت الى المال . تلك البناية لم تكن تدر علي شيئا يذكر لذلك اصبحت بدون فائدة عنـــدي . وحين جاء احد المتعهدين عارضا علي شراءها ليهدمها ويبني مكانها بنايـــة اخرى تكون مركزا تجاريا ، لم امانع ابدا . واتفقت معه فورا .

ان اكثرية المحلات فيها كانت فارغة وتلك التي لم تكن كذلك كان ايجارها زهيدا جدا . اضف الى ذلك المستودع والكاراج .. والضريبة التي اخذت تتضاعف منذ سنة وبت اسأل نفسي ما عساي ان افعل عندما يأتي الجابي بعد مدة ويطلب مني تسديد ما ترتب علي .

وهكذا عندما اتفقت مع المتعهـــد بتلك السرعة ظن اني املك تفكـــيرا تجاريا رائعا . وبما اني لم اضـــع عليه الشروط الثقيلة لاحظت انه قبل مني بكل طيبة خاطر الشروط الصغيرة التي وضعتها له ، ومن ضمنها اخـــذ الوقت الكافي لاتدبر امري وارى ماذا يجب ان افعـــل بالاثاث والحوائـــج الموجودة في البناية . كما واني طلبت منه ان يترك المجال للمستأجرين حتى يخلوا المكان براحتهم .

فأصحاب الكاراج اعترضوا باديء الامر وكذلك الشركـــة التي كانـــت تستأجر المستودع فقد جـــن جنونها

عندما علمت بعزمي . ولكن لم يطل بي الوقت حتى اقنعتهم واخلوا جميعهم البناء واصبح جاهزا للهدم .

قبل اربعة ايام من التاريخ المحدد لبدء العمل قررت القيام بزيارة اخيرة للبناية لارى فيما اذا كنت قد نسيت شيئا له قيمته حتى آخذه قبل الهدم .

واخذت اجوب المخازن الفارغة والمساكن القديمة حتى وصلت نهائيا الى مكتب التبغ القديم . كانت كل قبضات الابواب قد انتزعت وكذلك اللمبات الكهربائية والاسلاك والازرار .. نزعهنا كلها وبعتها . لذلك كانت جميع الابواب مفتوحة مشرعة والهواء يلعب في بعض منها فيصدر عنه صرير خفيف . ودفعت الباب الرئيسي ولاحظت اني لاول مرة ادخل ذلك المكان .

فعندما ترك لي عمي هذه البناية سنة ١٩٦٢ كان ذلك المخزن مقفلا وبعد الذي رأيته من الزجاج المتسخ والغبار المتراكم عرفت انه اقفل منذ مدة طويلة . ومنذ ذلك الحين لم يأت احد ليستأجره كما واني من جهتي لم افكر في تأجيره .

كانت واجهة المخزن ما زالت قائمة ورائحة الرطوبة تفوح منه .. وفتحت بابا يؤدي الى غرفة كانت تستعمل كمستودع صغير ومدخل . لم يكن فيها نوافذ ، والنور الوحيد الذي كان يدخلها كان يأتي من الباب . والقيت نظرة على الارض .. رأيتها متسخة للغاية والنفايات مبعثرة هنا وهناك . واردت الخروج ، غير اني لاحظت وجود باب آخر في الجهة الداخلية . كنت سأذهب دون ان اشعر بوجوده نظرا لما كان امامه من صناديق فارغة وعلب كرتون ... وشققت طريقا لي ولمست مسكته .. وكانت اولى مفاجآتي : المسكة ..

اذن فالعمال ايضا لم يلاحظوا وجود ذلك الباب . والمفاجأة الثانية كانت عندما شاهدت القفل . كان عتيقا يتآكله الصدأ . ولم استطع ان افتحه عندما جربت ذلك . وفكرت بانه قد تكون هناك بعض الاشياء الثمينة وراء ذلك الباب وقررت فتحه . وبواسطة سكيني توصلت لذلك .

في اللحظة التي كنت سأدفعه فيها لاحظت شقا صغيرا على مستوى العينين مقفلا من الداخل بواسطة لوحة من الخشب . ودفعت الباب وبالفعل وجدت من الجهة الثانية لوح خشب جرارا يغطي الشق ومعلق بواسطة علاقة .

هنا انتابتني فكرة جديدة وشعرت كأن شيئا يحثني على الدخول والنظر ماذا في الداخل . ووجدت بداية سلم ينزل في الارض . كان

المكان مظلما . واخذت اتأكد من انني وجدت ملهى سريا خاصا .

لم اتمالك من الضحك عندما فكرت كم من المرات رفع وانزل هذا اللوح عندما كان الملهى في اوج مجـده . طبعا كان يحرس هذا الباب في ذلـك الوقـت احـد اللصوص المفتولـي العضـلات ، يجلس وراءه منتظـرا الاشارة المتفق عليها ليفتـح بعد ان يكون دخل رجل وامرأة او اكثر الـى دكان الدخان متظاهرين بشراء علبـة تبغ ثم ينتظران حتى يفسح لهما المجال ويدخلان .

وتذكرت اني رأيت مثل تلك المشاهد في الافلام القديمة . غير اني الآن ارى ذلك امامي . كان الشريط الكهربائي ما زال شغالا ، وما ان كبست علـى الزر حتى اضيئت اللمبة .

وكان في داخل الغرفة زر آخر .. واذا قلت اني اقتربت لاديره دون ان افكر بشيء ، فاني لا اكـون اقـول الحقيقة ، اذ شعرت بانقباض فـي صدري وانا افعل ذلك . لم يكن لدي اية فكرة عما ستطالعني به تلـك الصالة . وبعدما اضأت النور رأيت مشهدا لم اكن انتظره قط . كنت وسط صالة كبيرة مزينة تزيينا سينمائيا ، لقد كانت علبة ليل حقيقية .

كان هناك ، على اقل تقدير ، اثنا عشر من الثريات تتدلى من السقـف وتلمع كالمجوهرات العتيقة الوسخـة مرسلة على الجدران ظـلا شبيهـا بنسيج العنكبوت . لم يكن ينقص ذلك المكان شيء سوى انه فارغ من البشر . كل شيء كان في مكانه ، باقيا علـى حالـه ما عـدا بعض المقاعـد والطاولات المقلوبة . لقد مضى عليه اكثر من ثلاثين سنة وهو على هـذه الحال ، مهجور لا يطرقـه احـد . زجـاجـات الشـراب مصفوفـة مكانها على الرفوف تعلوها الغبار . وكذلك ملابس الراقصات وامتعتهـن وكل ما يحتجنه لبرامجهن .

وفجأة سمعت صوت تحطم زجاج وشعرت برعشة تنتـاب كيانـي ، والتفت واذا بي ارى سائلا يندلـق على الارض وبعد برهة مرت فـأرة كبيرة من امامي كانـت قـد تعثرت بزجاجة شمبانيا وقلبتها .

كنت اقف في مكان عال ، واخـذت اتميز الاشياء بوضوح اكثـر .. كانت هناك اشياء لم انتبه اليها لاول وهلة : مقاعد وطاولات مقلوبة وكذلك اقداح وقناني منثورة على الارض . كما رأيت عقدا من اللؤلؤ ما زال عالقا بطرف احد المقاعد وبقربه حقيبة يـد نسائيـة . وتقدمت منها واخذتهـا . وبعد ان فتحتها وجدت فيها الاشيـاء التقليدية التي توجد دائما في كل حقيبة امرأة تحب ان تحافظ على جمالها :

علبة بودرة ، احمر شفاه ومحرمة . وخمس قطع نقدية من فئـــة الدولار ، واحدة من القطع القديمة ، وواحدة من فئة العشرة دولارات وخمس قطـــع ذهبية . ورخصة سير . كانت الرخصة باسم أدنا بالزيـــر ، ١٧١٠ ورتنـــغ ستريت . مولـــودة في ١٣ حزيـــران سنة ١٩٠٣ العينـــان : زرقـــاوان ، الشـعر : اشقر ، تاريخها ١٩٢٨ .

اعدت كل شيء الى المحفظة ثـــم وضعتها في جيبي .

لقد ابتدأت افهـــم بعض الاشيـــاء الآن : يجب ان تكون قد حصلت حادثة مفاجئة كهجوم للبوليس مثلا : وهرب الجميع مسرعين تاركين كل شيء مكانه مرتطمـــين بهربهـــم ببعض المقاعـــد والطاولات . ففي هذه الملاهي يخاف جميع من يرتادها الفضيحة . اذلـــك لم يعد يهمهم شـــيء سوى الهـــرب والاختفاء .

ولكن لو كانت القضية هجوم بوليس لكان الامر غير ذلك . اذ على الاقـــل عاد اصحاب المقهى وباعوا الامتعـــة والاثاث . وهناك ايضا نقطة ثانيـــة جديرة بالانتباه فالبوليس عندما يهاجم مثل هذه الامكنة عادة فان اول مـــا يفعله هو التخريب والتكسير ، بينمـــا هنا كان كل شيء مكانه وخصوصـــا قناني المشروب فلولا بعض المقاعـــد والطاولات المقلوبة والغبار المتكاثـــف لكنت ظننت ان المكان لم يهجر الا منذ مدة قريبة .

اذن ان القضية لم تكن قضيـــة بوليس . وتابعت جولتي وجاءتنـــي فكرة . فعلى كل حال انا الآن صاحب كل هذا . والويسكي والجن الموجود في المكان يشكل ثمنه مبلغا محترما جدا من المال . وارتحت قليلا لهذه الفكرة.

وبينما كنت انظر حولي لفت انتباهي باب آخر على اليمين وتوجهت نحوه كان هذا الباب يؤدي الى رواق علـــى جانبيه غرف صغيرة كانت تستعمـــل لتغيير ملابس الراقصات . ولم ادخل اول الامر الى تلك الغرف . وفي آخر الرواق كانت هناك اربعة ابـــواب اخرى . وكان احد تلك الابواب يؤدي الى مستودع وجدته غاصا بزجاجات الشـــراب الملآنة . وفرحت كثـــيرا . اما الباب الاخير فكان يفتح على مكتب مزين مؤثث برياش فخم .

ومهما كانت شخصية مدير هـــذا البار فلا بد انه كان يتمتع بالبحبوحـــة حتى يحيط نفسه بمثل هذه الفخامـــة والترف ، اذ كان الاثاث على افخـــم ما يكون وخصوصا منـــذ ٣٠ سنـــة تقريبا .

ولم اجد في تلك الغرفة شيئا جديرا بالاهتمام ، فالمكتب نفسه كان مسحوبا الى جنب الجدار ولسبب ما رأيـــت ثلاثة مقاعد موضوعة فوقه ، كما رأيت

جميع الادراج مفتوحة ومفرغة على عجل . وما عدا طاولة المكتب كانتثمة « كنبة » وحيدة وطاولات صغيرة ومقاعد الخ . . .

وقبل ان اخرجلفتت انتباهي لوحة زيتية كبيرة معلقة في الحائط . وبعد ان فحصتها وجدت انها كانت تستعمل كستارة لاخفاء الصناديق الحديدية وراءها في الجدار . لقد كانت مفتوحة وفارغة .

اما الغرف الاخرى فكانت ملأى بالملابس الباليه وبعض قطع الموسيقى ولا شيء غير ذلك يستحق الاهتمام سوى خزانة صغيرة قرب احد الجدران . واقتربت منها وحاولت فتحها فاذا بها مقفلة بالمفتاح ولم يطل بي الوقت حتى خلعتها .

لاول وهلة لم أر فيها اي شيء له قيمته . وتعجبت لماذا كانوا قد حرصوا كل ذلك الحرص واقفلوها بالمفتاح . لم اجد فيها اية ملابس نسائية . سوى ثوبين رجاليين فقط وبعص القمصان والجرابات ودبوس لربطة العنق مع ازرار فخمة ، وربطة عنق غالية الثمن مطرز عليها هذين الحرفين أ . ك .

ان هذين الحرفين فتحا امامي مجالا للتفكير وتناولت القميص وقلبتها بين يدي ووجدت على ظهرها هذه الاحرف :

« من أ . ب . الى أ . ك . » وطبعا قلت في نفسي ان أ . ب . هذه ليست سوى اختصار أدنا بالزير صاحبة المحفظة التي في جيبي . ويجوز ان يكون افتراضي صحيحا وقد يكون مخطئا . ولكن المسألة على كل حال تستحق البحث والتفتيش .

وبعد ساعتين عدت من جديد الى عالم الاحياء والنور . كنت اسير تحت شمس ١٩٦٤ تاركا ورائي ظلال ذلك العهد الماضي عهد الثلاثين سنة الغابرة .

اعتقد بأن المتعهد ظنني مجنونا عندما ذهبت اليه وطلبت منه تأخير موعد الهدم . ولكن عندما شرحت له السبب وافق على ذلك وبالطبع عرف الصحفيون بالامر وانفسح امامهم المجال الكبير لسرد القصة وتضخيمها والتخيل فيها . اظن انكم تتذكرون الضجة التي حصلت يومئذ .

على كل حال كانت تلك الدعاية من حظي اذ سرعان ما بعت تلك الامتعة، وقد جاءني احد اغنياء الحرب فاشترى كل شيء كتحف قديمة ثمينة .

وبعدما تخلصت من الاثاث كله قررت الذهاب الى العنوان الموجود على رخصة السير . عنوان ادنا بالزير ، لقد فكرت اولا انها قد تكون نقلت من هناك ، ولكني رغم ذلك ذهبت .

كان البيت لا بأس به ودهانه في حالة جيدة وكذلك الحديقة ، وقلت في نفسي وانا اتقدم نحو البيت بأن ادنا ما زالت تعيش فيه .

كانت المرأة التي فتحت لي تبدو كاللعبة تماما . مزوقة محمرة مبودرة . . . وترددت قليلا قبل ان أسألها عن امرأة كانت تعيش منذ ٣٠ سنة في هذا المكان . انها ستظنني مجنونا . ولكن رغم هذا سألتها : وكانت النتيجة حسنة .

لقد كانت تلك الدمية تدعى انا ماري بالزير ابنة اخ الامرأة التي اسأل عنها . كانت لطيفة للغاية وطلبت مني الدخول لتناول فنجان من القهوة . ودخلت وسردت لي كل القصة ، القصة التي تعرفها طبعا عن عمتها . وهي تختصر بما يلي :

انها لم تعرف عمتها ادنا ابدا ولقد ورثت عن ابيها شقيق أدنا هذا البيت . ولكن ليس لان ادنا ماتت انما لانها قد اختفت سنة ١٩٢٨ بطريقة فجائية ولم يعد احد يسمع عنها اي شيء . وبما ان أخاها هو القريب الوحيد لذلك استلم البيت بعد مضي سبع سنوات واعتبرت ميتة من الناحية الشرعية ، وبعد موت والدها ورثت انا ماري البيت عنه .

وقالت لي ايضا ان عندها حقيبة كبيرة كانت تخص العمة ادنا وهي موجودة في الحاصل . وحصلت على الاذن بالقاء نظرة عليها .

لقد كانت مليئة بالتذكارات : رسائل وصحف وصورة لسيدة حسناء افترضت انها ادنا نفسها . واشياء اخرى لا اهمية لها الا لصاحبها .

وتصفحت بسرعة تلك الرسائل لكي اجد ما كنت ارجو ايجاده ، لم تكن الرسائل موضوعة في مغلفاتها ولذلك توقف نظري امام اسم « أل » وابتدأت بالقراءة .

وبعد مضي ساعتين جاءت أنا ماري لترى ماذا حل بي . كانت مرتدية ثيابها لتخرج ولشد ما كانت دهشتها قوية عندما رأتني منهمكا ذلك الانهماك ولم انتبه لها الا عندما كلمتني .

وابتسمت لها بسرعة وربطت الرسائل واعدتها الى مكانها وقمت .

وابتسمت لي بدورها وقالت :

ـ هل وجدت ما كنت تطلب ؟

وقطبت حاجبي قليلا وانا أتساءل في نفسي هل وجدته حقيقة واجبتها : يجوز ، ولكني سأعرف اكثر عندما اتحقق من ذلك لدى البوليس .

وارتجفت قليلا وهي تقول مستغربة : ـ البوليس ،

واستنتجت انها خافت بأن امرغ بالوحل اسم عائلتها ولكني طمأنتها عندما قلت لها :

ـ ليس بخصوص عمتك أدنا انما

بخصوص رجل كانت تعرفه ... جيدا .

وما زلت اذكر حتى الآن اتساع حدقتيها عندما سألتني : من ؟

فأجبت :

ـ أل . كارتللي .

قبل البدء بتحقيقي عن كارتللي قررت معرفة من كان يستأجر مكتب التبغ فيما بين سنتين ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ ... انه طبعا سيكون تحت اسم مستعار . ولكن ذلك يستحق التنقيب .

واول شيء قمت به بأني قصدت البوليس وطلبت السماح لي بالاطلاع على لائحة علب الليل السرية تلك العلب التي ذهب اليها والتي كان يراقبها . ولم استفد شيئا من ذلك لاني لم ارى اي اسم لواحدة منها في بنايتي . وهذا مما اكد لي افتراضي بعدم وجود « هجوم للبوليس » عليها .

وكذلك ذهبت الى مكتب البلدية ومكتب المحفوظات وامضيت ثلاثة ايام في التنقيب والبحث حتى توصلت للعثور على ملف مكتب التبغ .

وكانت دهشتي كبيرة عندما وجدته باسم ادنا بالزير وليس باسم أل كارتللي .

ولكني تحققت ايضا من افتراضي الثاني . وهو اذا كانت أ. ب. تعني ادنا بالزير فحرفي أ.ك. يعنيان أل كارتللي . وهذا يعني ايضا ان هذا الاخير هو الذي كان يدير الملهى .

والذي اثار تعجبي هو ان مدير البوليس يذكر جيدا اسم أل كارتللي الذي القى القبض عليه وارسله الى ألكاتراز بتهمة تهريب مخدرات وتزوير عملة .

فالقصة التي رواها لي الضابط كانت طويلة وممتعة :

لقد افرج عن كارتللي لقاء كفالة صغيرة في سنة ١٩٢٨ غير انه وقع في الخطيئة الكبرى اذ اعلن امام جمع غفير من الناس بأنه سيؤدب ذلك الخنزير ميكي فوستر حتى ولو كان آخر عمل له يقوم به في هذه الدنيا .

وكان ذلك الاعلان بمثابة نبوءة عن مصيره . فالذي علمناه كان ذلك حقيقة آخر عمل قام به اذ كان معروفا لدى الجميع بان فوستر هو الذي وشى بكارتللي وسبب له تلك المتاعب، ولكن فوستر لم يهتم بل فكر انها مجرد ثورة غضب من أل لا تلبث ان تخمد . ولكن الامر كان على غير ذلك ففي احد الايام وبعد الافراج عن أل بأسبوع واحد مرت سيارة سوداء مسرعة في احد الازقة وانطلقت منها طلقات رشاش مسرعة حولت فوستر بأقل من لمح البصر الى غربال .

وبكل أسف شاهد عمل أل هذا اكثر من عشرة اشخاص كانوا

مستعدين للشهادة . وهكذا انتهت القصة . ولم يعد احد يسمع او يرى أل كارتللي منذ ذلك الحين رغم ان الحكومة وضعت جائزة لمن يقبض عليه حيا او ميتا بقيمة ٥٠٠٠ دولار . لم تضع الحكومة هذا المبلغ ثمنا لرأس كارتللي لانه قتل فوستر وحسب بل لانه قبل ان يقوم بالجريمة وضع قيد التداول مبلغا من الدولارات المزيفة التي سحبها من مخبأ لم يكتشفه البوليس عندما القي عليه القبض .

وتدريجيا كان يلقى القبض على جميع افراد عصابة كارتللي ، ومع الايام اصبح هذا الاسم من الاسماء العشرة الملاحقة بعنف في كل البلاد .

وكان مدير البوليس يظن ان كارتللي ما زال موجودا في مكان ما تحت اسم مستعار يعيش كمواطن صالح الآن في احدى المدن الصغيرة وقلت في نفسي ربما كان الامر كذلك ، فقد حصل هذا مع كثيرين ممن هم الآن يعتبرون من افاضل البشر ... واخذت افكر في رسائل ادنا التي قرأتها . تلك الرسائل الغرامية التي كانت ترسل لآل . ولكنها ألم تختف في نفس الوقت ؟ وارتسمت في رأسي فكرة واخذ الامر يتضح امامي . فهذا ما يفسر عدم عودة احد الى الملهى السري وبقاء كل شيء مكانه كما وجدته . لقد استطعت تصور الحادث كما يلي :

كان البوليس في أثر أل واصبح على وشك العثور عليه . فهرع الى الملهى واخبر ادنا بما حصل له وهرعت هي بدورها الى الصالة واعلنت للحضور باحتمال حضور البوليس ، فخرج الجميع متدافعين قالبين امامهم المقاعد والطاولات والاواني وفرغ المكان ولم يبق فيه سوى أل وادنا . لقد مر كل شيء على ما يرام حتى الآن بالنسبة لأل . فلم يبق في المكان سواه وادنا . فاذا ما جاء البوليس فالملهى مقفل وهادىء ولا يشعر بوجوده . ولكن يجب على أل الاسراع مهما كان الامر . واخذ ما كان معه وذهب . وها هو الآن في احدى المدن الصغيرة يحتل مركزا مرموقا في مجتمعها . هكذا قلت في نفسي وهكذا اتضح الامر لي وانكشف السر امامي .

وفي كل هذه القصة كان اللطيف فيها أنا ماري ، فلو لم اعثر على تلك الحقيبة لما كنت رأيتها او اتصلت بها . وكم كانت دهشتها عظيمة عندما اخبرتها القصة ووجدت نفسها انها كانت قريبة لقاطعة طرق .

واخيرا قررت ، في اليوم الذي ينبغي ان يباشر فيه العمال الهدم ، ان من

واجبي ان اطلعها على الامكنة التي حدثتها عنها .

وابتدأ العمال بالجهة الثانية من البناية ، فلا شيء اذن يمنع من دخولنا الملهى رغم لافتة « ممنوع الدخول » التي علقوها على البناء .

وشققنا طريقنا نحو الباب الصغير وفتحته . ولم يكن هناك اي ضوء ، ولكني كنت احمل معي مصباحي الكهربائي وكذلك كان مع انا ماري مصباحها .

وطفت بها في المكان وشاهدت مختلف الاشياء .

وفي غرفة الملابس اخذت من جيبي محفظة العمة ادنا بحركة مسرحية وفتحتها ثم تقدمت من أنا واعطيتها كل محتوياتها : علبة البودرة والقلم الاحمر والدولارات وازرار القميص الذهبية ودبوس ربطة العنق الماسي ، كنت اود منذ البدء ان اعطيها هذا كله . ولكني فضلت ان يكون ذلك في المكان نفسه حيث وجدتها ، في المقهى الذي شهد الكثير الكثير من غراميات الست ادنا والعم آل . وكان سرور انا ماري عظيما .

وبعد ان خرجنا من تلك الغرفة دخلنا الى غرفة المكتب ، ومن هنا اخذنا نسمع طرق المهدات والمعاول بوضوح وبتنا نشعر بارتجاج الجدران والسقف . ولم يطل الوقت حتى اصبحت تلك الضربات تتضاعف بقوتها وفي بناية قديمة كهذه من يعرف ماذا يحصل في مثل هذه الظروف ؟

وعلى كل حال اخذت الآن قطع « الورقة » والكلس تتساقط حولنا وهرعنا للخروج وبينما كنا في طريقنا سمعت صوت تحطم خشب والتفت الى ورائي . . . كان قسم من جدار غرفة المكتب ينفتح بتمهل ولاحظتفجأة انه لم يكن جدارا بالمعنى الصحيح انما كان بابا سريا ليس الا . وكان ذلك في المكان الموضوعة فيه طاولة المكتب نفسها . وبهتنا ونحن ننظر الى الفتحة تكبر وتتسع ، ورغم الخطر المحدق لم نتمالك من العودة الى هناك والقنديل الكهربائي موجه نحو الفجوة . ولما وصلت هي بجانبي وكشف نور المصابيح داخل المكان شعرت بأنا ترتجف كالريشة وتصعد صرخة عنيفة وهي تقول :

ــ اسرع ، لنخرج من هنا .

وامسكتها بيدها وقدتها عبر الممرات والابواب وما لبثنا حتى اصبحنا في الخارج في نور الشمس الوضاء ونظرت الى انا ورأيتها صفراء وفي وجهها وعينيها عدة اسئلة . غير اني قبل ان اقول كلمة ذهبت توا الى اقرب هاتف ولحسن حظي اجابني مدير البوليس بنفسه ولم يطل الوقت اكثر من عشرين دقيقة حتى كانت الهيئة

الرسمية بكامل اعضائها موجودة .
بعد ان خرج مدير البوليس من تلك الغرفة السرية قلت له : لقد كان ذلك يستحق الاهتمام ، اليس كذلك ؟
وبعد ان نظر الي قليلا قال :
ــ اظن ذلك ، انه من تلك الامور الذي ينساها الناس مع الوقت .
وذهب يتبعه افراد الهيئة .
لم يكن قد بقي شيء يذكر من الرجل والمرأة ، ذلك ان خمسا وثلاثين سنة هي مدة طويلة ، بالنسبة لجثة الانسان .
غير ان ربطة العنق كانت ما تزال باقية وعليها هذه الاخرى : أ. ك. وهذا ما سهل التحقيق وكذلك اثبت الفحص الكيمائي ان الجسدين كانا لرجل وامرأة ، اما المرأة فكانت ادنا بالزير نفسها .
بعد ان رفعت البقايا اخذت انظر الى احد رجال البوليس يجمع الاوراق النقدية ، كانت ٤٠٠ الف دولار . انه لعمري مبلغ محترم اليس كذلك .
فالصندوق الحديدي الذي رأيته في غرفة المكتب اول مرة وراء تلك اللوحة الزيتية لم يكن سوى صندوق صوري للتضليل فقط . وذلك خوفا من العصابات المنافسة او من اللصوص العاديين . اما الصندوق الحقيقي فكان في تلك الغرفة السرية التي صنعت خصيصا لذلك . كانت جدرانها كلها من الحديد المصفح وبداخلها عدة ادراج ورفوف . لقد افرغت كل تلك الادراج من محتوياتها والمال كان منثورا على الارض .
لا ريب بأن أل وادنا بعد ان خرج جميع رواد الملهى دخلا الى تلك الغرفة ليجمعا الاموال ويذهبا بها ولكن على غفلة منهما ، او هي الاقدار شاءت ذلك، انغلق الباب الحديدي وراءهما وهو لا يمكن ان يفتح من الداخل ولا يمكن ان يسمع صوتهما وصراخهما الى الخارج ... لذلك اتضح لي الامر الآن ... فكانت تلك الغرفة قبرهما .
طبعا كنت اراقب رجل البوليس وهو يجمع تلك الاموال المنثورة فالاتفاق كان ينص على ان كل شيء يمكن وجوده بين الجدران هو ملكي لي وحدي .
نعم كان هذا مثيرا حقا . ولكن عندما كان رجال البوليس يخلون المكان جاءتني فكرة : اذا كان فعلا قد حدثت الامور على هذا النحو فمن الذي أقفل بالقفل ذلك الباب الصغير في مكتب التبغ ؟
وفكرت حينئذ بعصابة فوستر . ولكن اذا كانت قد احتجزت ادنا وكارتللي فلماذا لم تستول على المال اذن ؟
وبنظرة من طرف عيني لاحظت قطعة من فئة العشرة دولارات كان

قد نسيها البوليس والتقطتها واخذت اتفحصها .

ثم القيتها على الارض ثانية واستندت على الحائط بحزن ظاهر . بضع مئات الوف الدولارات كلها لي ، نعم لي انا ولكنها ويا للاسف كلها مزيفة ...

ان عصابة فوستر لم تكن مجنونة على كل حال . وعزيت نفسي قائلا : لقد بقي لي على الاقل مبلغ ٥٠٠٠ دولار جائزة تسليم فوستر ميتا او حيا . وهذا ما يكفيني لقضاء شهر عسل رائع !



اقصوصة في مثل

كل الصيد في جوف الفرا :

يضرب هذا المثل للرجل الذي له حاجات كثيرة .. منها واحدة عظيمة بالنسبة له قضاها .. فيقول في نفسه ذلك او يقولها له مخاطبوه .. بمعنى ان حاجته ما دامت قد انقضت فانه لا يبالي بعدها بما لقي بعد ذلك ..

اما قصة المثل فهي انه خرج ثلاثة رجال للصيد ، فاصطاد احدهم ارنبا واصطاد الآخر ظبيا .. اما الثالث فقد اصطاد حمارا وحشيا .. فأخذ الاول والثاني يبديان سرورهما ويبالغان في صيدهما امام الثالث .. مما حدا به ان يستخف بصيدهما ويقضي على دابر مبالغتهما .. فقال لهما : « كل الصيد في جوف الفرا – اي حمار الوحش » فضرب بها المثل .

صاحب ملايين لخمس دقائق

بقلم جيمس كروس



كان روسل ينظر الى اظافره الموشاة ، المقلمة عندما سمع رولنسن العجوز يقول : « الرذيلة مسخ ما ان يظهر حتى يصبح مكروها » .

كانت عينا ذلك الرجل المسن زرقاوين ، من ذلك النوع الرطب ، تشوبهما بقع صغيرة بيضاء وحمراء ، ونظراتهما المبللة كانت تتوه من مكان الى مكان ... فروسل كان يكره ان ينظر اليهما . غير انه في بعض الاحيان كان يضطر لذلك وكان عندما يحدق بهما لمدة طويلة ، تبدوان له كأن رموشهما سوداوان تمتصان النور .. ثم لا يلبث بعد مدة ان يعود ويراهما كشيء قاس جدا تشوبه زرقة عميقة اين منها زرقة الاطلنتيك الشمالي .

« ولكن عندما تراها دائما ، يصبح وجهها اليفا » اكمل العجوز بينما كان تومي روسل يصرف بأسنانه منتظرا سكوت ذلك الصوت الحاد المترجرج « ... اننا نتحملها اولا ثم نبدأ بالميل اليها واخيرا نتبناها » .

كان روسل يجلس بصبر ، منتظرا انتهاء تلك الموعظة الثقيلة . وكان يسأل نفسه قائلا : كم من السنين سيدوم عذابي ؟

اني اتكلم عنك يا توماس قال الرجل بعد صمت ثقيل اتكلم عن سلوكك واصدقائك وطريقتك في الحياة . لقد عينني ابوك وصيا عليك وكان واضحا في ذلك كل الوضوح . فقد تكلمنا فيما بيننا بخصوص التعيين قبل وفاته، وذلك حين كان يكتب وصيته . ان لديك مدخولا كافيا بكل معنى الكلمة ، كان في البدء عشرة الاف دولار اما الآن فها قد تضاعف . غير انه محظر عليك ان تمس رأس المال والفائض من الدخل عن ذلك المبلغ طالما أراك لا تستحق ذلك . وحتى الآن يا توماس لم تعط اي مجال بتصرفاتك لافكر بأنك اصبحت جديرا بادارة ثروتك .

شعر روسل بأن شرايين صدغيه اخذت تنتفض بعنف حتى ان فكرة سوداء ومضت في رأسه : اينقض من فوق المكتب الفارغ ثم يمسك ذلك العنق الصغير كعنق الديك ويأخذ بالضغط عليه حتى تتكسر تفاحة آدم تحت اصابعه ... غير انه تمالك

نفسه واستعاد برودة اعصابه . على كل حال فهذا الرجل العجوز لن يخلد على وجه الارض . فلا بد ان يموت ، وذلك الموعد اصبح قريبا وبعد ذلك تعود الثروة بكاملها لتومي روسل : ثروة تتجاوز الخمسة ملايين دولار .

ــ اني آسف ايها العم بان تراني من هذه الزاوية ــ قال توم بهدوء ــ فأنا ارى نفسي انني تغيرت كثيرا وذلك بفضلك .

ــ اما انا فلم ار ذلك بعد ، انرأس المال لن تمسه قبل ان تصبح في الخامسة والثلاثين من عمرك . اذن يجب عليك الانتظار سبع سنوات بعد . هذا اذا لم امت انا وتفتش عن منفذ للوصية غيري ، اقل دراية واكثر تلطفا مني . ولكن لا تظن انني سأموت في وقت قريب . ليس لدي من العمر الآن سوى ٦٠ سنة فقط وما زال امامي متسع كاف من الوقت .

ــ اني لا اطلب الثروة بكاملها . قال روسل . فأنا مستعد لترك القسم الاعظم لك . ولكني اقول بصراحة بأني محشور في هذه الايام .

ــ اذا لم تكفك عشرة آلاف دولار لتعيش فيها لمدة سنة فذلك يعني ان لديك الوقت الكثير من الفراغ لتبذرها ... لماذا لا تشتغل ؟ انك تؤمن بهذه الطريقة مدخولا اكثر ، ووقتا اقل لتبخر دراهمك .

ــ اني لا استطيع العمل مدة ٤٠ ساعة في الاسبوع ...

ولكنه لم يكمل . فقد عرف انه اخطأ وحاول الرجوع . ولكن بعد فوات الاوان .

ــ اظن انك ستضطر يوما للتفتيش عن عمل او ان تغير طريقة حياتك .. قال له العجوز ذلك بلهجة جافة . على كل حال ستبقى الآن تقبض عشرة الاف دولار فقط وهذا مما يشجعك على اختيار احد الحلين .

قال روسل بقليل من التحفظ :

ــ علي متطلبات اكثر بكثير من هذا المبلغ .

ــ اذا كانت ديونك ستضطرك للمثول امام القضاة فباستطاعتك حينئذ اما ان تتدبر الامر مع مدينيك واما الى اعلان افلاسك . واذا كانت الديون ، ديون قمار ، كما اظن ، فان اذكرك بان هذا النوع من الدين لا يمثل جرما يستوجب الملاحقة وذلك في كثير من الولايات .

ــ ولكن مديني يستطيعون الاخذ بثأرهم بعدة طرق : اما ان يسقطوا لي جميع اسناني في ليلة من الليالي او اذا كانوا من النوع الشرير فقد يلقوني في النهر بعد ان يربطوا عنقي بحجر ثقيل .

ــ عند ذلك اكون شديد الاسف لهذا المصير يا ولدي وسأشعر بثقل

ثروةابيك اكثر واكثر . ولكني في اية حال لست مستعدا لدفع ديونك في القمار.

منذ مدة طويلة كان تومي روسل يفكر . غير انه لم يفهم هذين الامرين الا الآن: اولا ان عمه يريده ان يموت. هذا من ناحية ومن ناحيةثانية فان ذاك العم لا يرى نفسه مثقلا ابدا بسنيه الستين وهو مستعد كل الاستعداد للتمتع بتلك الثروة الضخمة بعد زوال الفتى . اما الفكرة الثانية : فهي ان روسل قرر قتل عمه عند اول فرصة سانحة لذلك .

فبعد زوال ذلك العم تنتقل الوصاية اوتوماتيكيا الى احد البنوك . وبهذه الحال تصبح تلك الشركة مستعدة كل الاستعداد لتلبية رغائب زبونها الكبير ضمن الامكانيات المعقولة . اما الجريمة فلم تكن سوى مسألة سرعة وحذر .

لقد واجه تومي لحظة ، فكرة التخلص منه فورا وذلك بخنقه الآن بشاله الحريري ... فمنظر تلك العينين الزرقاوين بزرقة رطبة وهما تنفران من ذلك الوجه الاحمر الغامق كان لا يعجبه ، غير انه ابعد الفكرة من رأسه ، اذ هناك ما لا يقل عن ١٢ شخصا — من البواب الى عامل المصعد — كلهم رأوه يدخل الى غرفة عمه الخاصة في النادي ... وهذا يعني ذهابه السريع الى المشنقة .

ومرت الاسابيع التالية وتومي يعيش بتحفظ من مدخوله الحاضر . وكان يدرس بامعان حركات وعادات عمه . ولم يمض الشهر الاول حتى اعترف بفشله . فذلك العازب العجوز كان محروسا من العالم الخارجي طيلة الاربعة وعشرين ساعة فعند الفطور يكون في النادي ثم يذهب بالتكسي الى وكالته الصيرفية ويعود ليتناول الغداء مع احد الاصدقاء ثم يذهب الى النادي لراحة بعد الظهر ، وبعد ذلك اما ان يكون في حفلة في النادي نفسه او عند احد الاصدقاء الكثر . فالدعوة تأتيه اثر الدعوة كعازب غني ما زال مرشحا للزواج . بالاختصار لا يمكن ان يكون وحده ابدا . ففي كل وقت وفي كل لحظة يعترضك حاجز بينك وبينه كالخدم والزائرين والاصدقاء . ثم ان رولنسن العجوز كان يقي نفسه من احتمال موت مريع اثر حادث مثلا . فهو لم يكن يقود سيارة . وفي نيويورك يستعمل التاكسي . واذا ذهب يوما لرحلة ما ففي القطار . وزد على ذلك فهو يتمتع بصحة جيدة في مثل عمره . واهله ماتوا جميعهم في سن متقدمة فيما بين ٨٠ — ٩٠ سنة. وكان منظما حياته تنظيما دقيقا .

بعد شهرين من المخططات والبحوث الدقيقة ، الحذرة توصل روسل الى هذ هالنتيجة : ان امام عمه حظا كبيرا

ومجالا واسعا ليعيش ايضا السنين الطوال اذا ساعدته الطبيعة . وهذا محتمل جدا . والانكى من ذلك انه لا يستطيع ازالته دون الذهاب الى المشنقة ...

وتكلم في هذا الامر مع صاحبته ذات مساء ، وكانت تلك الصديقة تدرس علم النفس وتعتد بنفسها انها تفهم غوامض واعماق النفس البشرية ... لذلك لم تصدم من هذا الخبر ، بل اعتبرت تصميم روسل على قتل عمه عملا معقولا واقتصاديا بالوقت نفسه . والذي ازعجها هو الصعوبة التي تعترض الفتى للوصول الى مأربه . وقالت له :

ـ ازاء الطريقة التي يعيشها عمك فذلك من المستحيل .

ـ اذن لم يعد امامي سوى تمضية وقتي وجر سنواتي السبع الباقية كموظف غامض في احدى الاماكن ، ايعجبك هذا ؟

ـ اني لم اقل لك ان ذلك مستحيل قطعيا . انما يجب عليك لكن تتوصل الى ما تبغى، ان تغير مجرى حياته .

ـ انه يسير على هذا النمط منذ ٣٠ سنة فماذا استطيع ان افعل ؟ الدعوة الى الصيد ؟ واختلق له حادثا؟ ولكن تلك الرياضة يكرهها حتى الموت ... ام اصعده في زورق ثم اخترع طريقة ما ؟ ان اصغر مركب صعد اليه في حياته وذلك لمرة واحدة فقط كان من نوع السفن الضخمة عابرة المحيط من ذوات الخمسين الف طن .

ـ ما رأيك في لعبة الغولف ... وعندما تكون معه وحيدا ... ضربة واحدة تكفي ...

ـ لقد قال لي مرة ان لعبته الوحيدة المفضلة هي نقل نعوش اصحابه المغرمين في هذه الرياضة ..

ـ اذن لم يبق امامك الا ان تغير محيطه ، مجتمعه ولكي تتوصل الى ذلك يجب ان تزوجه .

ـ عنده ٦٠ سنة من العمر وما فتىء يهرب من الزواج رغم الكثيرات الكثيرات من الارامل الجميلات او المطلقات اللواتي تقدمن اليه .

ـ امرأة ذكية واحدة باستطاعتها اقناعه .

ـ ومن هي ؟

ـ انا ...

وفكر روسل لحظة بهذا الطارىء الجديد .

ـ اظن انك تستطيعين ذلك ـ قال لها بتمهل ـ انك فتية ولكن ليس بالكثير، ذكية ولكن بالقدر الكافي لتخفي ذكاءك وباستطاعتك ان تمثلي جميع الادوار التي تريدينها . اذن اعتقد انك تتوصلين الى ذلك .

ـ بل اني متأكدة ولا اطلب سوى ثلاثة اشهر فقط . فأنا اعرف هذا

النوع من العجائز العزاب .

ــ قد تتوصلين لاقناعه ابضا بالابتعاد عن النادي والذهاب الى الريف ليعيش هناك بعيدا عن كل شيء . وهناك يمكنني العمل . اظن انك وجدت الحل .

ــ هناك أمر آخر ... ما هي النسبة المئوية التي ستكون من نصيب الشريكة ؟

ــ ستصبحين ارملة غنية ... اعتقد بان العجوز يترك وراءه ما لا يقل عن ٥٠ الف دولار .

ــ هل فكرت بالعيش من مدخول ٥٠ الف دولار ؟ ان هذا لا يكفيك لدفع ثمن زجاجات الشراب فقط . وانت ، ما هو المبلغ الذي سترثه ؟ لا تحاول خداعي فاني اتمكن من معرفة ذلك .

ــ حوالي خمسة ملايين دولار . ماذا تريدين ؟

ــ ان تتزوج الارملة . صحيح انك رذيل ولكني تعودت عليك . وعلى كل حال يمكننا التفاهم .

ــ يجب علينا الانتظار مدة من الزمن اذ يجب ان نكون حذرين .

ــ اعرف ذلك . انما الذي اريده الآن هو وعدك فقط . قل لي بأنك ستتزوجني بعد موت العجوز وانا اصدقك .

ــ سيكون ذلك سببا لفرحي ايتها العزيزة . تزوجيه انت وانا اتكفل بالباقي . انك تطلبين وعدي وانا مستعد .

وانحنى قليلا وامسك فيليس من ذقنها ودغدغها بيده وهو يقول في نفسه : انها تكون قد اضاعت سني دراستها عبثا في علم النفس اذا كانت تصدق بان رجلا يملك خمسة ملايين دولار سيتخذها زوجة له في يوم من الايام . وقال لها :

ــ ايتها العزيزة . يجب ان نسرع، فانا لا احب الانتظار .

وحصل ذلك بأسرع مما كانت تنتظر . فلقد اخذها روسل معه ذات يوم للتنزه في سنترال بارك حيث كان عمه يقوم بنزهته اليومية . وبعد ثلاث مرات من تلك النزهات ، التقيا . ولم يتطلب من روسل سوى خمس دقائق فقط حتى تركهما معا على احدى الطاولات تزينها زجاجة ، وذهب ودفع الحساب وترك فيليس برفقة العم معتذرا ان لديه موعدا هاما يجب ان يكون فيه . ولم تمض مدة حتى كانت فيليس ورولنسن صديقين حميمين .

كانت المرة الاولى في حياته ، التي يلتقي فيها رولنسن بأمرأة جذابة ، ذكية وغير نفعية . وبعد اسبوع واحد من تلك المقابلة اصبح يصطحبها الى المسرح ويناقشها في آرائه عن المأساة وغير ذلك كما وانه القى عليها محاضرة عن الفن الاغريقي ... اما في الاسبوع

الثاني فقد ذهب الى بيتها لتناول فنجان من القهوة . وفي الاسبوع الثالث قال لها ، بقليل من الارتباك انه اعجب بها وبما انه رجل فاضل فعليه ان يتزوجها . والاجمل من ذلك قالت له فيليس انها اعجبت كل الاعجاب بأناقته ورجولته ولكنها قد لا تستطيع الزواج قائلة وكأنها القديسة فيليس :

ـ كلا . يا فريد ... انني بهرت برجولتك واناقتك ولكن .. اظن انه يجب ان نفترق .

ان هذا المزيج من التعلق والحذر منها اجبره على تغيير مجرى الحديث فجأة ثم قام واوصلها الى بيتها وانقطع عنها مدة عشرة ايام متتالية . فلا مخابرة هاتفية ولا اي شيء . غير انه في تلك المدة اصبح يرى ملذاته القديمة الهادئة مملة للغاية . فلم يعد يعرف يلعب البريدج وفي المسرح اخذ ينام واصبح ينزعج من حديث اصدقائه اثناء الغداء . وحياته الهادئة في النادي ذكرته فجأة بأنه لم يعد امامه سوى السنين القليلة في هذه الحياة وارتعب عندما تذكر آخرته ، وحيدا فريدا لا انيس ولا جليس .

وبعد اسبوعين من الزمن طلب فيليس للزواج ولم يمض شهر على ذلك حتى كان يقف امام القاضي : هي وهو وشاهدين : ابن عم القاضي وتومي روسل .

لقد تغير توماس قليلا ، اخذ يفكر العم فريد في نفسه . ها هو قد صار اكثر رزانة وجدية ، يجوز ان العمل الذي يقوم به هو الذي طور تفكيره ، انني مدين له كثيرا فلولا توماس من اين كنت تعرفت بفيليس . وسأل نفسه فيما لو زاد له معاشه . غير انه عاد وابعد تلك الفكرة قائلا لنفسه :

بما اني أقللت عليه المال ، فهذا هو الذي صيره على هذه الحال : رزينا هادئا مفكرا . ربما ازيد له بعد سنة او اكثر اذا رأيت انه تطور نهائيا وعند ذلك سأعطيه كل ثروته .

تقول الاسطورة بان سان دنيس سار عبر باريس مسافة عشرة كيلو مترات وهو يحمل رأسه بيديه بعد ان قطعوه له : ان تلك العشرة كيلو مترات لا تثيرني ابدا قالت مرة مدام دوفان اثناء حديث عن سان دنيس : لا قيمة الا للخطوة الاولى . وهذا ما حصل للعم فريد . فما ان خطا تلك الخطوة الاولى التي كانت تبدو مستحيلة حتى انفرط الحبل واخذ يكر بسهولة .

ما ان عاد هو وزوجته من شهر العسل في اوروبا حتى اشترى مزرعة قديمة في كونكتيكت ورممها واصلحها وجعلها مسكنا له . فانتهت بذلك الزيارات اليومية لمكتب الصيرفية والغداء في المطعم وحفلات لعبة البريدج . ورفض العم فريد صفقته

كعضو في النادي . ولم يعد اصدقاؤه المسنون الذين يعتبرون الذهاب الى الريف كرحلة الى القطب يرونه الا فيما ندر واختفوا من حياته واحدا اثـر آخر . ولم يأسف عليهم فهو منهمك في حديقته . ومنهمك ايضا بالتمتع بصحته والباقي من ايامه . لقد قال « شو » : ان الانسان في هـذا العمر تتمازج عنده التجربة مع المناسبات ويصبح لديه ميل قوي للاستفادة من ذلك الى اقصـى الحدود .

عندما دعي روسل ذات يوم لتناول الغداء معهما راعته حالة عمه الصحية .. فقدا بدا له انه عاد عشرين سنة الى الوراء . فهو ثابت الخطو صافي النظرات جهوري الصوت مرح المزاج تهدر ضحكته لاقل مناسبة . اما فيليبس فكانت على عكس ذلك تماما . نظراتها قاتمة محروقة اليدين ، مكسرة الاظافر مصفرة الخدين . انها تبدو كأنهـا قفزت الى الامام بضع سنـوات . وقد لاحظ روسل ذلك عليها باشمئزاز ظاهر . فها هي لم تعـد تعتنـي بمظهرها ابدا . تسرح شعرها كيفما اقتضى الامر . كانت مستعدة دائما للاستماع بكل انتباه ، كانت لبقـة في الحديث مرحة . اما الآن فقد اختفى اكثر ذلك ان لم يختف كله .

لم يتمكنا من المكوث منفردين سوى دقائق قليلة في تلك الليلة ودار الحديث بينهما على النحو التالي :

ــ لم اعد استطيع الاحتمال اكثر يا تومي يجب الاسراع .

ــ كنت اظن ان العجوز سيقتـل نفسه لفرط نهمه ... وبذلك يكون قد مات موتا طبيعيا ويكون الامر اسهـل ولكن لا يبدو الآن ان له اكثر مـن ٤٥ سنة من العمر .

ــ انه يقتلني تدريجيا . فلا توجد الا خادمة واحدة لتساعدني في المنزل . لقد اجبرني على تعلم الطبخ ويريـد ان اساعده في الحديقة . ويمنعنـي من الذهاب الى الحلاق .

ــ انه يبدو في منتهى السعادة .

ــ نعم باستطاعتـه ان يكـون كذلك . اظن انني سمعتك مرة تقـول بأنه خجول امام المرأة . ولكنه علـى عكس ذلك تماما . انني اجهد نفسي بالعمل كل النهار ولا استطيع ان اجد ليلة واحدة للراحة والنـوم ... شهر واحد امضيه هنا ايضا وانتهـي اما الى الموت او الى تحطيم جمجمته بالفأس .

ــ تعالي الي الخميس القادم الى نيويورك لقـد دبـرت الامـر . فباستطاعتنا الاسراع والـ ...

وصمت روسل قبل ان ينهـي كلامه ، ها هو ذا العم فريد يصعـد السلم لاهثا عائدا من الطابق الارضي .. واراد العم ان يريه الحديقة على

نور الكهرباء واصطحبه معه ليقوما بجولة قصيرة .

اسرع روسل في الذهاب تلك الليلة ولم ينم هناك .

عندما ارادت فيليس الذهاب الى نيويورك حسب الاتفاق بينها وبين الشاب وجدت كل صعوبة لتحقيق ذلك . فالعم فريد قد غير عاداته وحياته السابقة كلها دفعة واحدة نهائية . فهو نفسه قد انقطع عن نيويورك منذ اقامته في كونكتيكت ولم يعد يرى اي سبب للذهاب الى تلك المدينة ، فلا هي له ولا هو لها . انه يريدها بقربه دائما فهو بحاجة اليها اما لقضاء امر او لاشباع رغبة . . . آه من اولئك العجائز المتصابين . فقد اقلع عن حياته السابقة نهائيا وقد تغير مجرى تفكيره بعد ان اتخذ امرأة . . فهو لم يعد يطيق ان تمر عليه لحظة واحدة دون الاستفادة منها والتمتع والاستمتاع . . . لذلك يجب عليها ان تجد سببا مقنعا وضروريا وفيليس كانت تعرف ذلك . وامضت نهارا كاملا في التفتيش عن ذلك السبب . ففي اول الامر لم يفهم العم فريد لماذا تريد زوجته ان تتكبد متاعب السفر وتذهب في القطار الى نيويورك . . طالما ان الطبيب في القرية المجاورة حاضر جاهز . صحيح انه متقدم قليلا في السن غير انه طبيب بارع ويمكن الركون اليه ، كما انه يوجد مستشفى ايضا فلماذا الذهاب الى تلك المدينة ؟ ولم تتوصل الى اقناعه الا بعد ان همست له شيئا في اذنه وهي بادية التحفظ . عندئذ فهم وقال بلهفة :

ــ أفي مثل عمري واكون أبا ؟ لم اتصور ذلك مطلقا .

ــ اني لست متأكدة كل التأكيد حتى الآن ولهذا السبب يجب ان اذهب الى الدكتور ماكفرسن . انني اشعر براحة اكثر هناك . اما انت فستبقى هنا وسأعود باكرا .

ــ يجب ان اذهب معك قال لها دون ان يشدد كثيرا في قوله .

ــ كلا . ليس ضروريا . باستطاعتي الذهاب وحدي ولا لزوم لازعاجك في السفر . سأهيء لك طعامك قبل ان اذهب . وميلي تخدمك في غيابي .

وبدا الارتياح قليلا على وجه العم فريد لخلاصه من تلك السفرة . رغم انه انزعج قليلا عندما فكر انه سيقضي يوما كاملا وحيدا بعيدا عن زوجته . غير انه عاد وتذكر سبب ذهابها ولاحت على وجهه من جديد دلائل أنفة حنونة . . فها هو على وشك ان يصبح ابا .

ــ اذن اذهبي يا عزيزتي .

وعندما عادت فيليس من رحلتها كانت متعبة منهوكة ، وقد مرت طبعا على الدكتور ماكفرسن في طريقها لتثبت وجودها هناك فيما لو سأل عنها زوجها . ولم يبق امامها سوى بضعة ايام فقط قبل ان تأتي نتيجة فحص الدم سلبية .

كان مخطط تومي روسل سهلا وقاطعا . غير انه احتاج لبعض التمرين . لذلك قبل ان تعود فيليس الى المنزل . وكانت هذه هي المرحلة الاولى من المخطط. مرت بزيارة لوكيل شركة التأمين في المنطقة .

لقد جاء موقف وكيل التأمين مطابقا لفكرة روسل وفيليس . فلم يتحمس ابدا للفكرة . فالقصة التي تعلمتها جيدا واعادتها امام الوكيل جعلته يهز رأسه وهو يقول :

ــ بضعة الوف الدولارات وجميع جواهرك وكل هذا في درج بسيط في بيت يبعد بضعة كيلومترات عن اقرب بيت له ؟ كلا يا مسز رولنسن لا اظن ابدا انه توجد شركة تأمين تقبل بهذه الشروط وتؤمن على منزلك ومحتوياته . وتابع موظف التأمين بحدة :

ــ ان هذه الاموال يا مسز رولنسن يجب ان تكون في احد البنوك ومجوهراتك في احدى الخزائن الحديدية . فقد تخسري كل شيء اثر حادث حريق مثلا او سطو او غير ذلك . انها كلها اشياء محتملة الوقوع وخصوصا في بيت كبيتك بعيد بهذا المقدار .

ــ ان زوجي لا يحب البنوك وانا مقتنعة كل الاقتناع برأيك . ولكن ماذا تريد ان اصنع . فهو مسن وقد خسر مرة مبلغا كبيرا بسبب افلاس احد البنوك اثناء تلك الازمة . انني عندما افكر في وضعنا ينتابني الرعب لحالتنا .

كان تومي روسل قد درس الامر بكل دقة واتقان . فقد عرف بطريقة ما الكثير عن مكان المنطقة . لقد اعلم فيليس ان موظف التأمين هذا يلعب القمار مع جماعة كبيرة من اصدقائه بينهم مدير بوليس الناحية الثرثار . وتعجب هؤلاء القوم من وضع آل رولنسن وكيف يتركون اموالهم بتلك الحالة . كما وانهم بعد ان عرفوا ان الجماعة تحتفظ بمال في بيتها فلا بد اذن من تنظيم لعبة بوكر . وعندما ينتشر خبر وجود المال في ذلك البيت ، يصبح عندئذ من المحتمل جدا ان يكون عرضة للسطو او غير ذلك . هذه هي النقاط الاولية للمخطط .. فبعد ان يتم تأتي النقاط التالية بكل سهولة .

وتمت لعبة البوكر يوم السبت التالي . وكان يوم الاحد التالي نهارا

حارا والناس كلهم اما علـى الشاطىء او في بيوتهم لذلك كان السير خفيفا في تلك المنطقة ، عندما استعار تومـي روسل سيارة تحمل ارقام نيوجرزي وذهب واوقفها في مكان منعزل قرب البيت لا يراها احد في مساء ذلـك اليوم . كان تومي يحمل في جيبـه تذكرة لاحدى المسرحيات ، فحسب مخططه يجب ان يكون هناك فـي الفصل الثاني . اذ انه سينفذ العملية بأسرع وقت . وفي الطريق عندما يعود الى نيويورك سيغير لوحـات سيارته ويذهب الى مكان يكـون معروفا فيه حتى يثبت وجوده .

فتح الباب الخلفي للبيت بكـل حذر وتمهل . كانت فيليس قد زيتت القفل في النهار ثم بعد ان آوى زوجها الى فراشه تظاهرت انها ذاهبة لشرب كأس من الحليب وفتحت الباب بالمفتاح وتركته بدون قفل .

كان روسل يلبس قفازين جلديين بيديه منذ ان ترك نيويورك وسيتلفهما بعد عودته طبعا . وبعد ان دخـل ترك الباب مفتوحا وراءه قليلا ثم اتجه نحو النافذة المجاورة فكسر زجاجهـا وسمع صوت الزجاج وهو يتحطم الى الداخل ومد يده وفتحها بالمقبض .

كان العم فريد ينام في الطابـق العلوي . ولكن الزوجة كانـت مستيقظة ومتظاهرة بالنوم . وبعد ان سمعت الاشارة لكزت زوجها قائلة : استيقظ .. سمعت حركة في الطابق السفلي .

سمع فريد صرير الباب الخلفـي يفتحه الهواء ثم يغلقـه بهدوء ولـم يسمع شيئا غيره .

ـ انه الباب الخلفي . قال لهـا بانزعاج .

ـ يجوز انك نسيته مفتوحـا . ارجوك اذهب واقفله . انه يمنعنـي من النوم .

ـ طيب .. طيب .

ـ لم يكن قد استيقظ تماما بعـد عندما وصل الى اسفل السلم وهـو يسير بكل سهولة على ضوء القمر . اتجه نحو غرفة المائدة ثم سار صوب المطبخ وما ان مشى بضع خطـوات حتى وصل روسل اليه من الخلف . كان مختئبا في احدى الزوايا المظلمـة وناوله اول ضربة على مؤخرة رأسه من قضيب حديدي بيده . وعندما وجه له الضربة الثانية كان العجوز قـد انهدم على الارض بلا حراك .

وشعر لمدة ثانية فقط بألم فـي قلبه عندما سمع تلك الجمجمة السريعة العطب تتحطم واضطر الى اخذ نفس طويل حتى استعاد هدوءه . ثم وقف مكانه ينتظر .

اما بقية المخطط فلـم تكـن الا « روتين » . ففليس يجب ان تنـزل

بعد ان تلاحظ تأخر زوجها ، فيضربها روسل ضربة خفيفة على رأسها ثم يوثق يديها ورجليها بعد ان يفتش البيت ويقلب الخزائن والادراج آخذا المجوهرات والخمسين دولارا التي تؤلف المبلغ الوحيد الذي يحتفظ به العم فريد في البيت . وهذا كل ما في الامر .

بعد هذا يتكفل روسل بالجنازة بوصفه القريب الوحيد للعجوز ويتولى المحافظة على الارملة المفجوعة . وما ان يمضي الاسبوع الاول حتى تبيع هذه الاخيرة البيت وتعود الى نيويورك وبعد مضي سنة يتزوج روسل فيليس بصورة طبيعية عادية وكأن شيئا لم يكن ، بعيدا عن كل شبهة وظن .

ولكن عندما سمعها تنزل السلم وتنادي بكل تحفظ « فريد ؟ اين انت » ؟ في هذه اللحظة قرر تومي روسل ان يدخل بعض التغيير على مخططه . كيف سيتزوج تلك المرأة التي تساهم بهذه السهولة في قتل زوجها ؟ قال لنفسه غاضبا . وهي فوق هذا اصبحت مدمنة على الشراب وقحة. كما انه لن يشعر بالامان مطلقا بقربها . ففي لحظة غضب منها قد تشي به مجرمة نفسها وذلك لتجره معها الى المشنقة . واذا لم يتزوجها فسيكون تحت رحمتها كل ايام حياته .. كما وان البوليس سيتساءل : لماذا لم يقتل اللص الا الزوج فقط بينما اكتفى بربط الزوجة ؟ ان في هذا مجالا كبيرا للشك . اذن يجب قتلهما معا . فهذا اضمن وآمن .

وشد جيدا على قضيب الحديد بيده عندما سمع فيليس تنادي فريد بصوت منخفض . وبعد ان وصلت الى اسفل السلم ورأته في ضوء القمر ، يقف قرب العم فريد قالت :

— هل مات ؟

— تقريبا . ساعتين من النزاع وينتهي الامر . لنكمل .

لقد كان الاتفاق ان يضربها من الخلف عندما تدخل الى غرفة المائدة وترى زوجها ممدا . « سأقف وراءك استعدي » قال لها .

وتقدم ليفعل كما قال ولكن الضربة ستكون قاضية تماما كما فعل مع العجوز . وما ان يصل احد حتى يكونا قد فارقا الحياة . غير انه ما ان تقدم خطوة واحدة حتى انتشر النور في الغرفة . لقد ظن بادىء الامر بأن فيليس وهي تمر قرب الجدار لمست زر الكهرباء دون انتباه منها .

— اطفئي . قد يرانا احد من الطريق .

— يجب ان ارى بوضوح يا تومي . هل تريد معرفة السبب ؟

— اريد ان تطفئي النور فقط .

ثم تقدم هو ليفعل ذلك .

واخرجت فيليس عندئذ مسدسا لماعا من جيبها . كان صغيرا من عيار ٢٥ غير ان فوهته وهي موجهة نحو روسل بدت له كبيرة جدا كالقنال .

ـ ان موظف التأمين نصحني باقتناء هذا لاحمي الاموال والجواهر في البيت . قالت له وفي عينيها وميض غريب . وسمعت منه النصيحة . لا تخف اني اعرف جيدا كيف استعمله .

ـ هل جننت ؟ لماذا تريدين قتلي ؟

ـ لاجل الخمسة ملايين دولار .

ـ ماذا يعني هذا ؟ اننا لم نتزوج بعد ولذلك لا يمكنك ان تأخذي مليما واحدا من ثروتي .

ـ ثروتك يا تومي ؟ ان هذه الاموال ليست لك .

ـ ستكون لي بعد موت العجوز .

ـ لم يحن الوقت بعد يا تومي . واذا مت قبله ؟

ـ انها تعود الى العم فريد .

ـ اذن لم يتغير شيء بعد يا تومي العزيز . فالعم فريد ما زال يعيش وعندما يموت بعد ساعتين فدولاراته جميعها ستكون لي .

ـ انه لن ينفد فهو مائت لا محالة .

ـ طالما ان فيه عرقا يختلج او قلبا ينبض او اقل نسمة فذلك يعني ان الحياة موجودة . واذا مت قبله ، بخمس دقائق فقط ، يرث منك لمدة تستغرق هذا الوقت ثم يأتي دور الذين يرثون منه . لقد اطلعت على هذه الامور وحفظتها عن ظهر قلب وذلك عندما اشتريت المسدس .

ـ وكيف يمكنك اثبات ذلك ايتها الساحرة ؟

ـ سأقول بأن لصا دخل البيت وضرب فريد المسكين على رأسه . واستيقظت على صوت الضربة ونزلت في العتمة وقتلت اللص الذي توفي فورا . وبعد ان انرت النور وجدت انه كان تومي روسل . والجميع ، جميع الناس يعرفون ان تومي يريد المال ويريد التخلص من عمه . والجميع يعرفون ايضا ان فريد لم يكن يعطيه ما يطلب . وعرفت انهما تخاصما عندما جاء تومي لتناول الغداء عندنا .. لذلك جاء تومي وقتل فريد بهذه الطريقة ليوهم الناس بأن القضية قضية سرقة ولصوصية ليس الا . ويجوز انه كان قد قتلني انا ايضا . وعندما يصل البوليس سيجد فريد انه لم يمت تماما بعد . اما انت يا تومي العزيز ، فلا . لاني سأقتلك فورا ونهائيا .

وفكر روسل بأن يرتمي عليها وينتزع منها المسدس . غير ان

السلاح كان موجها اليه وعرف تمام المعرفة ان فكرته مستحيلة التطبيق . خمس دقائق . خمس دقائق فقط وكنت سأصبح موسرا . هكذا حدث تومي نفسه في تلك اللحظة الحرجة .

وقالت فيليس بلهجة حازمة .

ــ الوداع يا تومي . ثم اطلقت طلقتين متتاليتين بدقة متناهية ، الاولى على الصدر من ناحية اليسار ، موضع القلب تماما والثانية على الراس . ان فيليس امرأة حذرة ومنتبهة جدا . لذلك لم تناد البوليس الا بعد ان جاءت بمرآة صغيرة ووضعتها امام أنف تومي متحققة بذلك من موته النهائي .

وبعد قليل سمعت فريد يرسل زفرتين متتاليتين . لم يكن ذلك بالمشهد الجميل بالنسبة لها . ولكنها كانت تعرف ان الامر لن يدوم طويلا .



قصة في سطور

مزاح !

حاول البوليس في لاهاي عبثا العثور على شخص اتصل هاتفيا على سبيل المزاح بعدة شركات واوصى على عشرات الطلبات باسم اسرة في لاهاي .. وكانت نتيجة المكالمات الهاتفية ان زار منزل الاسرة ١١ مدربا لقيادة السيارات وجميع تجار الخمور وسيارات بائعي الخبز والنقل في لاهاي وخمسة من تجار المفروشات القديمة وفرقة المطافىء ..

ومما زاد في متاعب الاسرة ان جريدة محلية نشرت اعلانا لتاجير المنزل بأجر بخس فانهالت المكالمات الهاتفية على المنزل .


POLICE

طريق مسدود

بقلم ايفانس هارنغتون

كان الرقيب بريان يقف امام مكتبه في زاوية الرواق العريض واضعا غليونه في فمه ينظر الى الخط الطويل من السجناء بالبستهم المخططة ، يرددون اسماءهم بلهجة رتيبة . انهم يخرجون من قاعة الطعام يجرون ارجلهم بكسل ، متجهين نحو زنزاناتهم على جانبي الرواق .

لقد كان مشوش الفكر وهو ينظر اليهم يسيرون ببطء عبر الممرات ، عندما شاهد مايك دونهام فاستجمع تفكيره وطرد من رأسه كل ما كان يجول به من خواطر ونادى السجين واشار اليه بحركة من رأسه ، فما كان من هذا الاخير الا ان توقف فجأة وخرج من الصف واتجه نحوه .

بعد ان دخل الاثنان جلس الرقيب على مقعده ووضع مرفقيه فوق مكتبه فهذه عادته عندما يستريح ، تاركا نفسه على سجيتها . انه رجل متوسط العمر ، ثقيل الهمة ذو وجه عريض تشوبه الحمرة وعينين زرقاوين هادئتين وشعر اشقر خفيف متناثر على جمجمته .

ــ اجلس يا دونهام قال للفتى .

ــ شكرا . اني افضل الوقوف .

واخذ الرقيب مجة كبيرة من غليونه فتصاعد الدخان من شفتيه الرقيقتين متهاديا متموجا .

ان مايك دونهام ، هذا الفتى الجميل البهي الطلعة كان دوما يضايقه ... ففي مدة الخمس عشرة سنة الاخيرة التي قضاها بريان مسؤولا عن المعتقل ١١ لم يذكر مطلقا انه انزعج مرة من احد سجنائه مثلما حدث له مع هذا الشاب ، وكان الرقيب بريان يتميز بمزاج حقود ، يجب ان يأخذ ثأره مهما كلف الامر .

وقال له : اسمع . ساختصر كلامي معك . اظن انك تعلم لماذا ناديتك .

وانفتحت اوداج بريان قليلا وتورد خداه بحمرة خفيفة وخفض عينيه الزرقاوين الهادئتين . هكذا يبدو دائما عندما ينزعج من احد . فبمجرد ان يتكلم مع هذا السجين كان يشعر بأعصابه تشتد . وتذكر جيمس هول ذاك الرجل الذي قتله هذا الفتى .

ان الرقيب كجميع سكان المقاطعة تابع قضية هول ــ دونهام في الصحف . وكالجميع شعر نحوه بذاك الشعور المنفر . ومما زاد من شعوره هذا شراسة الفتى وقساوة مزاجه . فمنذ البداية احس بأنه لم يحب ذاك الوجه الجميل الاسمر الذي كان يراه في الصحف . لقد قرأ عنه بكل تمعن وانتباه . وعلم كيف ان هذا الولد الصغير كبر بسرعة وشب عن الطوق وبعد عشرة لقاءات فقط على حلبة الملاكمة تمكن من انتزاع الشهرة في هذا المجال . ثم كيف ان جيمس هول منعه من التعرض لابنته والكف عن لقائها . لقد قال عنه احد الصحفيين «انه احتل البيت» والكلمة هذه اعجبت بريان . وعندما امره هول بالذهاب عاجله بضربة قاضية من قبضته القوية اردته قتيلا .

ان هذا التصرف منه كان جرأة مهينة احس بها الرقيب بريان . فهو رغم عدم وجوده في المكان اثناء الحادثة فقد تمثل في فكره ذلك الموقف واحس بدمه يغلي لتلك الكلمات ، وهو على كل حال اب فتاة تصغر نونا ابنة جيمس هول بسنتين وقد ابتدأت ايضا تصطحب معها الى البيت بعض اولئك الفتيان الغرباء الذين لم يرهم بريان ولم يحبهم . واخيرا قال الرقيب :

ــ اسمع يا دونهام ، قد استطيع حب الناس بطريقة او بأخرى .

ــ انها بشرى جيدة ، قاطعه الفتى قبل ان يكمل كلامه .

ومج الرقيب مجة عصبية من غليونه ثم نزعه من فمه وبعد ان اتكأ على مقعده اجاب :

ــ حسنا اني لا استطيع عمل شيء لك . كما اني لا اعرف اذا كنت انوي مساعدتك ، هناك المرقد الامامي اذهب اليه ولا تكن احمقا لتجرب الخلاص منه .

كان « المرقد » الامامي في ذلك السجن ــ المزرعة كناية عن موضع انفراد للسجناء الغلظاء المشاكسين فعندما لا يذهبون للعمل في الحقل بعد مخالفة ارتكبوها يوضعون هناك طيلة الوقت ما عدا اوقات الطعام والاغتسال ، وكان الرقيب لا يستعمله الا فيما ندر . فهو مكان قاس ولذلك كان لا يلجأ الى استعماله الا اذا اضطر له اضطرارا . غير ان شعوره نحو هذا الفتى المتعال الذي

لا يتورع عن استعمال قبضته المتخصصة في اية مناسبة ، وجفاءه غير المعقول لم يعطياه اية فرصة للتفكير بأسباب تخفيفية له .

واجابه الفتى :

ـ شكرا جزيلا . هل استطيع الخروج الآن ؟.

وحاول بريان كظم غيظه وقال :

ـ نعم وهذا خير ما تفعل ايضا .

واخذ ينظر الى ذاك الفتى العريض المنكبين يتجه نحو زنزانته .

كان مايك دونهام يظن انه يستطيع التفاهم بطريقة ما مع اكثر الناس وذلك لان هؤلاء الناس كانوا هم ايضا بطريقة من الطرق يفسحون له المجال ولا يتركونه لوجه الله .

اما اولئك المتقدمون في السن ، الراكنون الى بيوتهم والمطمئنون الى حياتهم ، فقد كانوا جميعا يتشابهون وهم يفكرون بأنهم على الصراط المستقيم . وهكذا كان السيد هول والد نونا . وبالفعل كان مايك ، في بعض الاحيان يرى تشابها كبيرا بين الرقيب بريان وبين والد الفتاة . حتى ان لون شعرهما كان متشابها وكانا بنفس الطريقة يفرقانه عند جبهتيهما ويجمعانه فوق اعلى الجمجمة . وفي بعض الاحيان ، عندما كان ينظر اليه الرقيب تلك النظرة العدائية الهادئة كان يتراءى له ، رغما عنه ، ذاك الوجه المتقع الجامد تحت وطأة الموت ، وجه جيمس هول المستند على درجة الباطون في الردهة التي ارتطم رأسه فيها بعد ان وجه له مايك تلك الضربة العنيفة من قبضته .

عند ذلك كان يشعر بنفور قوي ينتابه حتى انه لا يعود يستطيع الاجابة على الرقيب ولو كان يريد ذلك . وهو لم يرد ذلك مطلقا . ومنذ فترة طويلة قرر بنفسه انهم جميعا متشابهون : الشرطي الذي اوقفه والقاضي الذي حاكمه والمحلفون الاثنا عشر الذين نظروا اليه نظرة كأنهم مطمئنون لما توصلوا اليه بشأنه، وحتى محاميه نفسه كان يشبههم في اكثر النواحي .

ان العالم يديره رجال فريسيون بأوجه مشحمة . لقد حكموا عليه قبل ان تنتهي محاكمته ، حكموا عليه مسبقا بالقتل المسلم المدروس . او السجن المؤبد ، حتى انهم قالوا له انه كان قوي الحظ لخلاصه بجلده من تلك الورطة . وكل هذا لان رجلا عجوزا مشككا لم يرد الاستماع اليه والى ابنته وحتى زوجته . فالسيدة هول كانت قد وثقت بالفتى ، على الاقل قبل الحادثة .

★ ★ ★

كان كيغ ولسن رئيس الزنزانة يجلس على مرقد مايك . وفي كل

زنزانة كان يوجد حوالي ٥٠ سجينا وكان من الخطر جدا ادخال محكوم جديد بالاشغال الشاقة الى ذاك المكان بعد انطفاء النور . ولهذا كانت الرئاسة محفوظة لاحد السجناء الذين يتمتعون بقوة بدنية خارقة ، فهذا مما يسهل الامر على مديري السجن . وكيغ ويلسن كان من هذه الفئة . فيه قوة الغوريلا وكجميع رفاقه يريد ان ينزع من مايك لقب الملاكم الكبير . حتى ان ثلاثة من السجناء جربوا ذلك واصبح الفتى في حالة توجب التفكير .

ــ هل اغتسلت ؟ سأل كيغ عندما رأى مايك يقترب من المرقد دون ان ينهض من مكانه بل على العكس تمدد عليه مستلقيا .

وأجاب مايك :

ــ نعم . اذهب عن مرقدي .

كان ويلسن يتكىء الى الخلف ومرفقه الضخم ينغمس في وسادة مايك . وظهرت على شفتيه ابتسامة عريضة .

ودون ان يتحرك من مكانه قال له : لا اظن انك اغتسلت فمنظرك لا يدل عن ذلك .

ــ نعم اجابه مايك . ولكن باستطاعتك تأجيل هذا من فضلك .. اذهب عن مرقدي .

غير ان كيغ ويلسن ظل يرسل ابتسامته العريضة . فقد يمكن ان يبدو جميلا لو لم تكن قسماته تتسم بالضخامة . كل شيء فيه كان كبيرا ، وجهه وانفه وشفتيه ، ان كل هذا كان مصمما بمقياس التماثيل . وقال له هذا دون ان يتحرك . اني لا ارى بأنك فهمت : انك قذر ، بشع ، كريه ، ابعد عني .

وتقدم مايك نحوه قائلا : ارجوك اتركني وشأني . اذهب عني ...

ــ واذا لم اذهب ؟ اجابه كيغ وهو ما زال مستلقيا .

ــ اني اخاف جدا من كلمة اذا . قال مايك . انك من رجال الرقيب بريان . اذهب عني وكفى .

ــ لا يبدو عليك انك تتكلم بجد . اني افضل سماع كلمة واذا ...

وبالفعل كان مايك يريد اجتنابه والابتعاد عنه كما اراد اجتناب المعركة التي حصلت معه منذ مدة وجيزة بعد الظهر . انه يعلم كل العلم ان القتال لا يوصله الى شيء بل قد يضر به . ولكن ما العمل بسرعة تأثره واعصابه المشدودة ، تلك الاعصاب التي تهتز لاقل اثارة ، وقبضتيه القويتين وصدره المفتوح ؟ ما العمل امام كل هذا ؟

وصعد الدم الى رأسه وكاد ان يرتكب الخطأ الكبير ويوجه اللكمة الى تلك السحنة العريضة . انه فعلا

يكون خطأ فادحا منه لو فعل ذلك وبالاخص عندما رأى تلك الحدقتين تتسعان وتلمعان وهما تحدقان به . ففي هذه المرة قد لا يتوقف الامر عند معركة عادية بسيطة يوجه فيها لكمة او لكمتين وينتهي الحال . كلا . فاذا لم يكن بامكانه الخروج منتصرا فالاجدر به ان يبتعد . فهو يعرف كيغ ورآه بنفسه اثناء العمل. وشاهد بأم عينيه ارنول فولا مكسر الاسنان مبعوق الوجه محطم الاضلاع يخرج من بين يدي تلك الغوريللا ، انه في المستشفى الآن .

لقد كان كيغ سريعا ويحب العراك. وهو ان لم يكن يتمتع بفن الحلبة فهو يملك قوة جسمانية رهيبة وفوق هذا يزن اكثر من ١٠٠ كلغ . فهل يستطيع مايك ان يرد له الكيل ؟ وهنا كانت تكمن المشكلة .

كان مايك يقف امام المرقد بينما كيغ ظل مستلقيا عليه والابتسامة العريضة تتهادى على شفتيه منتظرا ان تبدو اية حركة من الفتى ... كلبطة او لكمة او اي شيء . فهو مستعد ومتأهب ، انه يعرف تماما ان ذراعه الطويل وقبضته الضخمة تستطيع بكل سهولة الامساك بمايك والقائه بعيدا يتدحرج على قفاه ... وذلك قبل ان يتحرك الفتى او يحاول القيام بأي شيء .

وحرك مايك كتفيه العريضين وتلك حركة اكتسبها من الحلبة او لانه كان يريد خدع كيغ ، واطلق رجله فجأة باتجاه الساق الممدة على المرقد ، اطلقها بكل ما اوتي من قوة وعنف ، وجاءت الضربة شديدة انحنى على اثرها ذاك الوجه العريض الضخم الى الامام واستلقاه مايك بضربة ثانية من ركبته اتبعها بنفس اللحظة بلكمة عنيفة من قبضته على مؤخرة العنق . وانهدم كيغ برأسه اولا على ركبتي مايك ، وما كان من هذا الاخير الا ان ارسل اللكمات . وانهدم كيغ من جديد . ومن جديد ايضا تابع مايك ضرباته ، وبعد لحظة رفع كيغ رأسه وهو يغمض عينيه من الدم السائل عليهما ومد يده محاولا الامساك بمايك .

في هذه اللحظة اراد مايك الكف عن الضرب . وهذه كانت نقطة الضعف فيه ، فلقد خسر مباريتين من جراء ذلك. غير انهكان باستطاعته العودة الى العنف فيما لو رأى داعيا لذلك . وهذا ما فعله الآن . وتراجع الى الوراء امام قبضة كيغ وعاد اليه يمطره وابلا ثانيا من اللكمات المحكمة حتى سقط اخيرا مستلقيا الى الوراء على السرير ، جامدا بدون حراك .

وتنفس مايك تنفسا طويلا ووقف ينظر اليه. لم يجرؤ احد على لمس كيغ

ولكنهم اقتربوا منه جميعهم ولم يكلموه . فعالم الزنزانة يختلف كثيرا عن العالم الخارجي . لا يمكن لاحد ان يتمتع بحب الآخرين ، فهذه العاطفة لا تحركها هناك الا المصلحة والقوة فقط . وبفقدان هذين العاملين يفقد المرء كل عطف ومحبة .

كان الرقيب بريان قد ذهب الى منزله من الجهة الثانية والحارس الليلي لم يسمع اية ضجة صادرة عن الزنزانة ، لذلك لم يشعر احد من الخارج بشيء .

بعد ان انتهى الامر وعاد كل الى مكانه ذهب مايك الى الحمام . وعندما عاد كان كيغ قد نهض متثاقلا وذهب بدوره ليغتسل دون ان ينظر الى احد . فجمع مايك كل حوائجه وتوجه نحو المرقد الاول من الزنزانة على يمين الرواق . المرقد الذي عينه له الرقيب حيث كان كيغ مستلقيا عليه . وجلس واضعا يديه على وجهه مخبأ عينيه محاولا طرد كل صورة وتفكير فيما حدث . واذا به يسمع فجأة صوت تايلور مان الكسول يقول له : انك عظيم ولكن تنقصك المرونة .

ورفع مايك يده عن وجهه بسرعة . لقد كان تايلور مان رجلا نحيفا حسن الهندام ولم يعرفه مايك الا بالاسم فقط ، وبعد ان نظر اليه قال له : اليك عني يا هذا وعاد الى حالته الاولى .

ــ كنت اظن انه باستطاعتنا الثرثرة قليلا ، باستطاعتنا ان نكون اصدقاء. اجابه تايلور مان بصوت رنان واضح يشدد على كل مقطع من كلامه .

ــ اليك عني ، قلت لك ، اريد ان تتركوني بسلام .

وشعر ان وسادته انخفضت قليلا واصبح الصوت اكثر قربا منه :

ــ ولماذا هذا التصرف منك ؟

واهتز مايك بعنف وجلس ليبعده عن المرقد غير ان تايلور مان كان اسرع منه واخرج يده من جيبه قابضا على سكين وبكبسة خفيفة منه خرج نصلها مسرعا يلمع امام مايك ، لقد جرى هذا بسرعة خاطفة حتى قبل ان يتمكن الفتى من الجلوس ، وسمع صوت تايلور يقول له :

ــ أوه ، كلا ... انا لا احب العنف . اعلم انك لا تتعامل مع رجل النيادرتال ...

امام السكين المشرعة وتحت وطأة النظرات القاسية لم يتمالك مايك الا ان يسأله قائلا : ماذا تريد ؟

ونقل تايلور السكين الى يده اليسرى ثم وضعها امامه على الفراش وقال : ما رأيك بتأثيره ؟

ــ ولكن عن ماذا تتكلم ؟ ماذا تريد ؟

ـ عن رجل النيادرتال . . .

اخذ الغضب يصعد الى رأس مايك وشعر انه لم يعد يستطيع الاحتمال وقال له مقاطعا بحدة :

ـ اغرب من وجهي . . . واذا لم تفعل فسأضطر لغمس هذا السكين في معدتك .

وصدرت عن تايلور مان ابتسامة كسولة : وقال : اني اصدقك واظن انك ستجرب ذلك حتى ولو كنت متأكدا بأني سأقطع زلعومك. ارجوك اذن ، لا تقم بأية حركة ممنوعة . . . اظن اني فهمتك .

ـ اشكرك اذن . قال مايك بلهجة ساخرة . لست بحاجة اليك ولا الى تفهمك اغرب عني .

ـ اوه . كلا. انك بحاجة ماسة الى تفهمي ـ اجابه تايلور مان ـ وبحاجة الى تفهم الجميع : انك بحاجة الى تفهم رقيبنا الطبيب بريان والى تفهم خطيبتك السابقة نونا هول وحتى الى تفهم والدها المسكين القتيل . . . يجب ان يفهموك جميعهم . . . يجب ان يفهموا بأنك لم تكن تقصد قتل جيمس هول وبأنك لست ذلك الملاكم الشرس القاسي الذي سيعذب ابنته كما كان يتخيلك في تفكيره البورجوازي . . .

وفجأة تذكر ذلك المشهد الذي جرى له في ردهة آل هول ، لقد كان في نية نونا ومايك ان يسألا جيمس ولكن هذا كان قد خرج ، فقد رآهما يصعدان الى الردهة وفي هذه اللحظة كان مايك يطوقها بذراعيه فشفتاها كانتا شهيتين ، غير ان والد نونا تعلق بالفتى من الخلف ، انه يشبه الرقيب بريان تماما كما يشبه الآخرين ، ان اظافره انغمست في عنقه وآلمته ولذلك ضربه مايك دون ان يلتفت ، لم تكن الضربة قوية، غير انها كانت كافية لتدعه يتدحرج على الارض ويرتطم رأسه ، كيف يضربه بعنف وهو والد نونا ؟ وكيف يضربه ايضا لو انه عرفه ؟ ورغم تنبيهه له ظل الرجل المتقدم في السن يتدحرج حتى ارتطم رأسه بدرجة الباطون ومات .

ـ كما ان الرفاق هنا لا يفهمونك ايضا . قال له تايلور مان ، فهم يظنون انك متعجرف . هذا بالنسبة لمظهرك . وعلى كل حال فالسن له تأثيره فأنت ما زلت في اوج شبابك والجمال يهيمن عليك. لذلك يعتبرونك تحديا ساخرا لكل واحد منهم .

كان يتكلم والابتسامة العريضة ما زالت في صوته وفي عينيه الحالمتين، غير ان مايك تحرك نحوه قليلا وما كان منه الا ان التقط السكين من امامه بسرعة وقال : اني اتكلم كثيرا . أليس كذلك ؟ ولكن ما يهمك يهمني ايضا وما يهمنا نحن الاثنين معا هو

ذهابنا .

ــ الذهاب ؟

ــ طبعا اجابه مان ، ارجو ان تفهم بأنه ليس لك اي مستقبل هنا . وذلك نظرا للشعور الذي يكنه لك الرقيب وبقية الرفاق . لقد حكم عليك بالمؤبد كما اظن والرقيب لن يدعك تخرج قبل عشر سنوات على اقل تقدير . ولهذا فانك لا تود البقاء هنا لتقيم حفلات مجانية في الملاكمة الى ان يتوصل احد السجناء لقتلك وخصوصا اذا عرضت عليك المكسيك او اميركا الجنوبية وكل ما فيها من جمال .

ــ تريد ان تقول ان نقفز ؟ ان نهرب ؟

ــ نعم . كنت اعلم انك لست غبيا . انني على يقين بأنك زهرة شعبنا ... واوج مجتمعنا الاقطاعي المصنع . تلك العضلات والشجاعة والذكاء وسرعة الخاطر ... ارأيت اني لم اكن مخطئا في تفكيري بالنسبة اليك . ولاجل هذا تبهرني .

وعاد مايك واستلقى على الفراش كما كان من قبل . وقال له :

ــ اسمع لقد قلت لك اغرب عني . والآن لا تتأخر . هيا ... ان ما تقوله ليس له اي معنى بالنسبة لي . انه من الغباوة بل من الجنون ان نفكر في الهرب . اننا لا نتوصل الى ذلك ابدا .

ــ من قال لك ؟ كل ما يقصده الانسان باستطاعته التوصل اليه . فمنذ شهرين تقريبا توصل احد السجناء الى الهرب وحده من سجن ٨ ، انه يشبهك كثيرا .

ــ ولكن لماذا تقصدني انا بالذات ؟ لندع جانبا عضلاتي وذكائي وشجاعتي الباهرة . لماذا انا ؟

ــ انك تهزأ مني .. قال تايلور مان . ولكنك انت الذي عرضت المسألة بتصرفك من حيث لا تدري .

ــ وما هو مخططك ؟ سأل مايك ؟

ولم يعطه مان التفاصيل بل اكتفى بذكر المخطط عامة . لان مايك في ذلك الوقت لم يكن مستعدا للذهاب معه . ولكي يبتدأ لم يكن في نيته ارتكاب عمل جرمي بالمعنى الصحيح . وكما فهم منه مان لم يكن بذاك المجرم العادي . لقد تعلم الملاكمة في المدرسة وفي النوادي العسكرية وليس في الشوارع او المحلات العامة وقد كان يود الكف عن هذه الرياضة ليلتحق بالجامعة . هكذا كان يخطط مع خطيبته نونا . من جهة ثانية فهو كان يخاف من الهرب بصورة عامة . فالهارب لا بد وان يعتقل مرة ثانية . واذا تمكن من الافلات فسيبقى ملاحقا بشدة وقساوة وستكون حياته اقسى بكثير مما كانت عليه في السجن . ورغم مخطط مان الذي يبدو محكما ورغم وعده

بمساعدته لايجاد باخرة له تأخذه الى امريكا الجنوبية فمايك كان متشككا . هناك منظر مان نفسه وعاداته الغريبة وسخريته اللاذعة ، فهو يسخر من كل شيء حتى من نفسه . وهناك شراسته ايضا وخصوصا بعد شهره السكين عليه . كل هذه الاشياء جعلت مايك لا يتحمس للفكرة او ان يكون شريكا لمان .

وفي الاسبوع التالي لم يتغير موقف الفتى بل زاد تعقيدا وسوءا وذلك لان الرقيب وضع حارسا امام زنزانته وامره بان يطلق النار فورا اذا تحرك مايك عن مقعده بدون اذن بعد حادثته مع كيغ ويلسن . ولاجل هذا ففي ذات يوم بينما كان الجميع في الحقل يحرثون القطن اومأ مايك لمان الذي جاء اليه دون ان يشعر احد به .

لقد وقع اختيارهما على احد ايام السبت ، لانه اليوم الوحيد الذي لا يذهب فيه مان الى الحقل بل يبقى في المعتقل ينظفه وهذا العمل لم يكن يتطلب منه سوى نصف نهار من كل اسبوع . كما وان هذا العمل كان يعطي السجين الذي يقوم به بعض الحرية ، فباستطاعته الذهاب الى جميع اقسام السجن ثم الخروج الى الحقل كما يريد . وانتظر في ذلك السبت حتى جاء الرقيب وفتش الاماكن التفتيش اليومي ثم اعطى حارس البوابة الرئيسية بعض التعليمات وورقة مكتوبا عليها : « انهم يطلبون دونهام ، ارسلوه مع مان تحت حراسة مسلحة . الامضاء ي. بريان » .

لقد جاء هذا الطلب في وقته . واومأ هنتر الى جيبس الحارس الملح ثم زأر بأعلى صوته : دونهام . وتجاوب الصوت عبر الحقل القابع تحت حرارة النهار اللاهبة وهرع مايك الى كابينة الحارس وهو يحمل معولا بيده وهمهم هنتر .

ــ انهم يطلبونك سيرافقك جيبس .

وهز مايك بكتفيه ووضع معولا قرب الكابينة وذهب ووقف قرب مان ثم توجها نحو الممر .

وفي هذا الوقت عندما رأى وجه مان الشاحب وكانت عيناه الخضراوان متوترتين ، ابتدأ ينزعج .

ــ ماذا يجري ؟

قال له متمتما من رؤوس شفتيه :

ــ لا شيء . اصمت . ولا تتكلم .

اعطاه هذا الامر ، وسكت . لقد كانا متفقين بان لا يتكلما معا . وقبل ان يصلا الى الطريق يجب ان يبتدآ بعراك مصطنع .

وسار سابقا جيبس بخمس خطوات كما تقضي الانظمة . لقد كان وجه مان تعلوه صفرة الموت وعندما ابتعدا قليلا واختفيا عن الحقل وراء بعض الاشجار التفت مان نحو مايك وصرخ

بوجهه قائلا : ــ انت كذاب ووجه له لكمة نحو وجهه . وتلقى مايك الضربة والتحما ثم سقطا على الارض ومايك من تحت . وهرع نحوهما الحـــارس مصوبا نحوهما بندقيته وهو يصـــرخ : قفا مكانكما . وكفا عن هذا والا . . .

وانتظر مايك حتى اصبح الحارس بقربهما تماما وانفلت من تحت رغيقـــه وقفز على رجليه واقفا وهو يديـــر ظهره للحارس واخذ يتراجع حتـــى شعر بفوهة البندقية تلامس ظهـــره وبحركة سريعة منه ازاح الفوهة عنه ومد يده من وراء ظهره واستدار بخفة نحو جيبس وامسكـــه بعنقـــه على الزلعوم . كانت اللقطة عنيفة جـــدا من تلك اللقطات التي يعرف مايك كيف يستعملها عند الحاجة . وترك الحارس وسقط الى الخلف وامســك مايـــك بالبندقية واخـــذ ينظـــر الى الجهـــة المقابلة .

لقد كان ينتظر ان يسمع الطلـــق الناري يمزق السكون والرصاصـــة مندفعة عبر احشائه تمزقها ، غير انه لم يجر شيء من ذلك بل سمع حشرجة الحارس وتنفسه الصعب يتعالى من منخريه ثم رأى وجه مان الشاحب فوق جيبس وفي يده يلمع نصل السكـــين الملوث بالدماء . لقد قتله الملعون . ان هذا لم يكن ضمن المخطط بل جل ما هنالك ، كانا قد اتفقا على الاكتفاء بربط الحارس واسكاته فقط ولكن ليس قتله .

وهجم مايك على مان ودفعه بعيدا وهو يقول :

ــ كلا . كلا . ايها الوغد . يـــا ألهي ، ماذا صنعت ؟

ولم يقاوم مان بل ظل ممسكـــا بالسكين غير انه تحت قبضة مايـــك الحديدية لم يتمالك ان ارتخت اعصابه وفتح يده وسقطت السكين منه على الارض .

لقد كان مايك كالحاكم ، كذلك الذي ينتابه كابوس مزعج فهو لم يدر اهو في حقيقة ام في خيال . وقال :

ــ ماذا فعلت ؟ ماذا سيكون مصيرنا الآن ؟ وسمع صوت مان الكســـول يجيبه باسترخاء .

ــ لقد فعلت ما فعلت . وفعلتـــه الآن وسبق السبق العزل .

قال مان وهو مغمض العينين كأنه غارق في اخيلة بعيدة . ثم فتح عينيـــه وقال بلهجة حالمة : آه . يا لك مـــن حيوان قوي . وعلى كل حال لســـت بذاك الهر الشرس . ان الموت يرهب الحيوان . اليس كذلك ؟ انها كانـــت عضلاتك يا حيواني الفتى الجميل . ان العقل لا يصرخ مرتاعا امام كـــل جثة تعترضه .

ولم يتمالك مايك من ان يرسل لـــه لكمة قوية ثم قال له :

ـ ماذا تصنع الآن ؟ لم يعد باستطاعتنا العودة . والرقيب لا يلبث ان يكون هنا بين دقيقة واخرى . ماذا يجب ان نفعل ؟

وبقي وجه مان على حاله والابتسامة الكسولة تسبح فوق شفتيه وقال :

ـ اسرع انتزع ثياب الحارس وارتدي سرواله وقبعته . اسرع انك تبعث في القرف .

كانا يسيران على الجانب الايسر من الطريق على بعد حوالي كيلو متر من السجن . وقد ظن الرقيب بريان الذي كان ذاهبا لاحضار البريد بسيارته ان الرجل الطويل الحامل البندقية كان جيبس نفسه ولم يتعرف على الرجل الآخر القصير الذي كان يسير على بعد خمس خطوات منه . ووصل اليهما في سيارته . وبسرعة البرق حول مايك البندقية نحوه بينما قفز مان قفزة الى جنبه ووضع له السكين في خاصرته . لقد احس بها الرقيب قريبة منه لا ينقصها سوى كبسة خفيفة حتى تنغرس في لحمه . ودار مايك الى الخلف . لقد كان اصفر الوجه لاهث الفؤاد ، لم يكن يريد مطلقا ان يكون في هذا الموقف . انما رأى نفسه مجبرا مكرها ، وقال مان للرقيب :

ـ استدر وعد بنا الى النهر .

وقال بريان مستفهما :

ـ النهر ؟ واحس بالسكين تضغط على خاصرته ، ولم يتمالك من الاذعان .

ـ نعم الى النهر واسرع . قال دونهام .

والقى نظرة قاتمة على مان وكان هذا الاخير هادئا كل الهدوء كأنه لم يقم بأي شيء .

ـ دونهام ... قال الرقيب محاولا الكلام غير انه من جديد شعر بالسكين تنغرس قليلا في جنبه وسمع مان يقول له :

ـ لا تتكلم بل اكتف بقيادة السيارة فقط .

ـ اخرس يا مان . قال مايك .

ولاحظ بريان بان في صوته شيئا غير عادي ولم يجبه مان .

وتابعت السيارة سيرها وهم صامتون ، وحاول بريان ان يفكر ، ولكن بماذا ؟ لم يعد امامه سوى امل واحد وهو حصول شيء غير منتظر ليخلصه من هذا المأزق ، كأن يلتقوا مثلا بأحد يريد التكلم معه . وهو على كل حال لم يكن مسلحا . اذ انه لم يكن بحاجة لذلك فالجنود وحدهم والحرس هم الذين يحملون السلاح بينما هو لم يكن يحمل السلاح الا عندما يضطر لذلك . ولكن لا يمكن ان يفلتا ، فلا بد ان يلقى القبض عليهما ان عاجلا ام آجلا . ولكن بريان شعر بان شيئا ما لم يكن على ما يرام فيما

بين السجينين ، شعر بان مايك كان حنقا من الامر وهو مضطر اضطرارا لتصرفه هذا . وتساءل في نفسه كيف امكنهما الحصول على لباس الحارس وبندقيته ، وعندما شاهد السكين عرف الامر ...

ومن جديد عاد مايك وقال لمان بلهجة قاسية : قلت لك ان تكف عن الضغط في السكين . الا تسمع ايها الوغد ؟

وبقي مان على حاله دون ان يلتفت اليه ، بقي يصوب نصل السكين نحو جنب الرقيب والابتسامة الساخرة على شفتيه . لقد كان يبدو مرحا ومرتاحا للغاية من تصرفه .

وبعد ان ابتعدوا كفاية عن السجن قال دونهام : توقف هنا .

وتوقف الرقيب ونزل دونهام من السيارة ودار خلفها ثم قال : انزل منها واخلع ثيابك .

واستعد بريان للكلام واستدار قليلا نحو مان الذي بقي جالسا الى جانبه في السيارة . ونزل بريان مسرعا . وكان يأمل ان يبقى مان في الداخل ويتركاه . وهما سيتركانه طبعا بما انهما طلبا منه خلع ثيابه . وقد كان الرقيب متأكدا بأنه بعد ان ينتهي من خلع سرواله سيعمدا الى ربط يديه ورجليه . وهو ما حصل بالفعل وما كاد ينتهي من خلع السروال حتى عمد مايك الى وثق رجليه بسيره ووضع البندقية بجانبه .

وبينما كان دونهام يقوم بعمله قفز مان من السيارة مسرعا واستولى على البندقية . واشار له بالسكين نحو حقل الذرة وهو يقول : ــ اذهب الى هناك يا مايك . وبقيت الابتسامة على شفتيه غير ان في عينيه ظهر وميض غريب قاس .

وتابع دونهام عمله بربط رجلي الرقيب وعندما انتهى وقف وتنحى قليلا عن الطريق وقال :

ــ ماذا دهاك يا تايلور ؟

وصدرت عن مان همهمة خفيفة وهو يتقدم نحو الرقيب وقال : انظر اليه ، سيموت من الخوف ، انه ليس بذاك القاسي كما كنا نظن ، اليس كذلك يا رقيب ؟

وحاول بريان جهده ان يتكلم بلهجة حازمة غير مبالية وقال : قد كنت اخاف لو فكرت في انك ستقتلني ، ولكني اعلم انك لست بهذه الغباوة لترتكب هذا العمل الاحمق .

وابتسم مان واجاب :

ــ ولكني في اقصى حدود الغباوة، اذ انني سأرتكب هذا العمل وسأقتلك ايها الرقيب .

ــ كلا . كلا . قال دونهام بلهجة حازمة . اننا لا نحتاج لذلك . وليس لدينا الوقت . يجب ان نذهب .

ــ كما واني استطيع قتلــك انت ايها القذر قال مان موجها كلامه لمايك . ارأيت ايها الرقيب ان هــذا الفتــى متطير للغاية . انه يخاف الموت . لقد رآه منذ برهة عندما قتلت الحــارس واهتز كيانه لذلك المنتظر . هل انت متطير ايضا يا رقيب ؟

وقال مايك :

ــ اسمع يا تايلور : توقف .

ــ انتبه ، سأطلق عليك النار اذا بقيت تزعجني بكلامك او اذا فتحــت فمك مرة اخرى .

ونظر مان الىدونهام برهةثم استدار نحو الرقيب وابتسم ابتسامة صفراء وقال :

ــ هل قتلت رجلا ما في حياتك ؟ هل تعرف ردة الفعل التي تحصل بعــد القتل ؟ لقد قتلت واحدا انا اليــوم وشعرت بأن ردة الفعل تكون حلــوة لذيذة . اني لم اشعر مطلقا قبل اليوم مثل هذا الشعور . وبعد لحظة صمت وجيزة تابع : لم افكر ابدا بأني كنت استطيع عمل ذلك ايها الرقيب ، لقد كنت دائما اشعر برعب قوي عندمــا افكر بذلك ، هل تفهمني ؟ هل تخاف انت ايضا من القتل ايها الرقيــب ؟ لقد كنت اظن انني انا الوحيد الجبان او على الاقل مــن تلــك الاقليــة الضئيلة .

والشخص الذي يبدو الاقوى هــو الانذل والاجبن ، قل لي يا رقيب بماذا تشعر ؟

وتقدم من بريان الآن والبندقية في يده . وتابع : لقد ظهرت لي انــك واثقا من نفسك في كل المواضيــع . اني اريد قتلك ايها الرقيب ، فهل انت واثق من نفسك الآن ؟ الا تشعر بالضيق او بشيء مثل هذا القبيل ؟ الا ينتابك هذا الشعور مهما كان ضئيلا ؟

وبعد ان ركع فوق بريان اخذ يلوح بالسكين الملوثة بالدماء الجامدة ثــم وضعها فوق بطنه وقال : لقد طرحت عدة اسئلة بشأنك دائما يا رقيب وعن الاشخاص امثالك ، هــل تعــرف ان تجيب بدقة على تلك الاسئلة ؟ يجب ان تعرف ، يجب ان تجيب . وبهمهمة قصيرة خاطفة قال : اذا كان جوابــك صحيحا من الجائز جدا ان اترك بطنك سليما .

كان بريان ينظر اليه محاولا درس تقاطيع وجهه وحركة تنفسه وحتــى خفقات جنونه . ان السكين انتقلت الآن واصبحت علــى بعــد بضــع سنتمترات من زلعومه وشعر بان حركة واحدة من يد ذاك اللعين كافية لتمزيق عنقه .

ــ تايلور ... انظر الى الطريق وراءك قال له مايك بصوت حازم كأن القدر فيه .

وحصل كل ذلك دفعة واحــدة .

والتفت تايلور وهو يقف على ركبتيه وعبر كيان بريان أمل مجنـــون لمـــدة لحظات فقط ، فهم على اثرها كل شيء . لقد رأى دونهام يقفز هاجما . وازاح مان من امامه وهو يلوح بالسكـــين ذات اليمين وذات الشمال واصـــاب دونهام بضربة جانبية لم تصل الـــى الجلد بل مزقت له سترته . تراجع على اثرها قليلا ليتقيها . ولكن مـــان هجم عليه ايضا موجها اليه من جديد ضربة جديدة كانت في هذه المرة اكثر احكاما واصابته فوق حزامه قليـــلا انفتح بعدها جرح صغير اخذ الـــدم الاحمر يتفجر منه . جرى هذا بينمـــا كانت قبضة دونهام تطير في الهـــواء نحو سحنة مان الذي عـــرف كيـــف يتقيها في اللحظة المناسبة . ولحقـــه دونهام محاولا القاء القبض عليـــه . غير ان مان اخذ يتراجع حاميا نفســـه بالسكين .

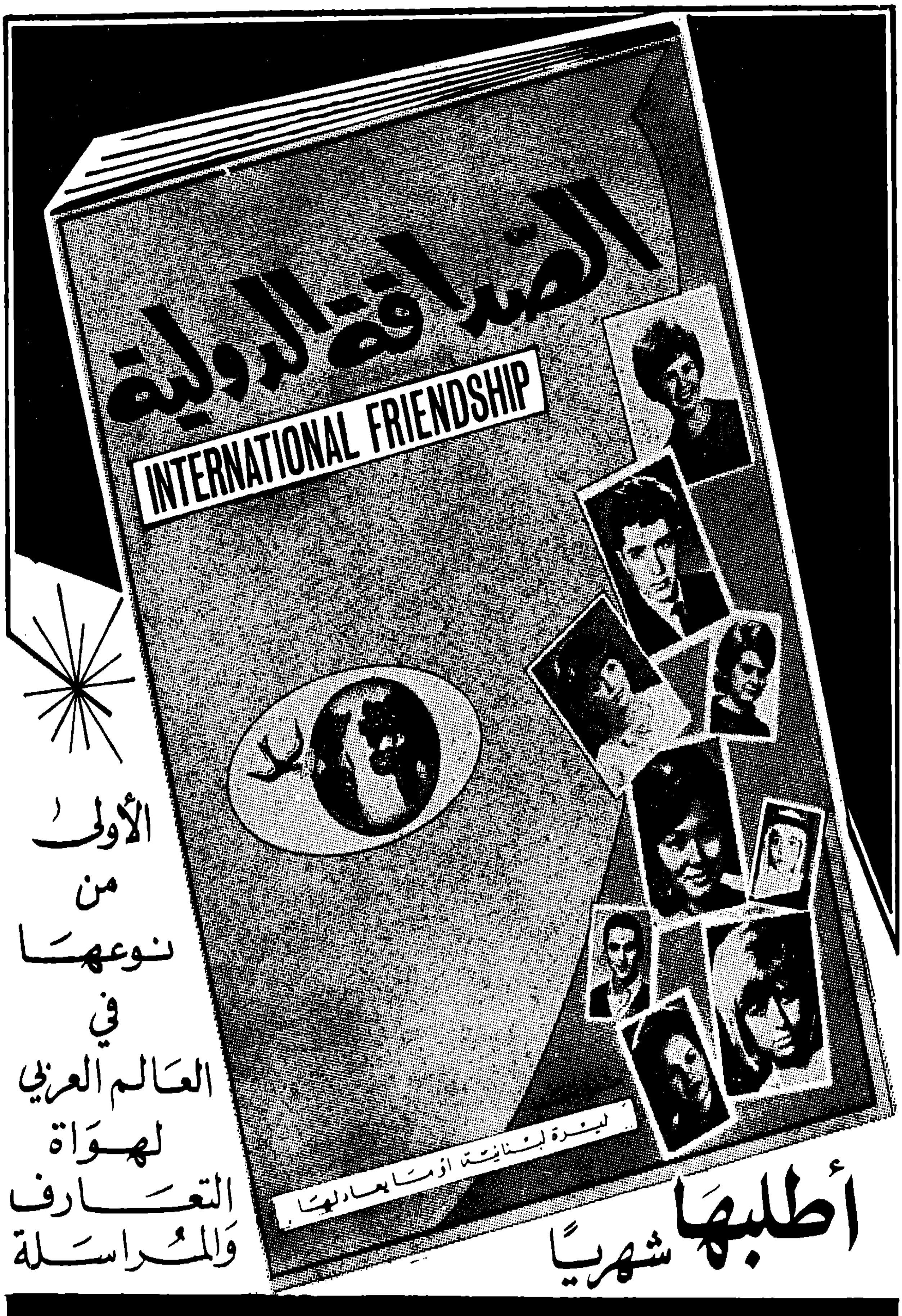
واخذ بريان من جهته يشد علـــى الحزام الذي يربط يديه ورآه بنحـــل قليلا تحت الشد والجذب .

وهكذا تمهل دونهام قليلا ، بعد ان رأى قميصه ممزقا وجنبـــه مجروحـــا ويديه كذلك .

وتوصل بريان اخيرا لتحرير يديـــه وقفز الى البندقية في الوقت الـــذي كان فيه مان يستعد للهجوم ثانيـــة . غير ان دونهام كان بطيئا في حمايـــة نفسه من ـــ سكين مان ـــ التي هوت بسرعة على صدره ، ولكنه في اللحظة الاخيرة استطاع ان يحمي نفسه بضربة قوية من قبضته نحو مان تأرجح هذا الاخير على اثرها ثم فر هاربا .

في هذه اللحظة كانت البندقية بين يدي بريان مصوبة نحو مان ، لم يكن الرقيب يريد قتله ، انما تهديده فقط او اطلاق النار على رجليه . وبما ان مان لم يتوقف بعد الامر الذي صدر له من الرقيب ، ضغط هذا الاخير علـــى الزناد وانطلقت الرصاصة لتستقـــر في فخذ مان الايسر . وهوى هذا الاخير على الارض يتخبط بدمه .





الصداقة الدولية
INTERNATIONAL FRIENDSHIP
ليرة لبنانية أو ما يعادلها
الأولى
من
نوعها
في
العالم العربي
لهواة
التعارف
والمراسلة
أطلبها
شهرياً
من كافة المكتبات وباعة الصحف والمجلات في كل مكان ...

عذر المعلم

بقلم أ٠ د٠ بيكجرز

كان ارتياد مقهى شاطىء الذهب في نيويورك لاولئك الذين اكتشفوه ، بمثابة اداء واجب ديني منهم اكثر مما هو ارضاء لرغبة او عادة . انه قطعة من باريس انتقلت عبر الاطلنتيك لتستقر هناك في تلك البقعة من بلاد العم سام . كان اولئك الزبائن يمجدون الاله وهم يتذوقون تلك الاطعمة التي تحمل في ابخرتها رائحة الشانزليزيه الارض الطيبة الحلوة . وكانوا يتحدثون بصوت خفيض مع صاحب المقهى السيد كاسرول بينما هو يدور عليهم متصالب الذراعين يرد بهمس ليطمئنهم عن تحسن الامور معهم وبأن كل شيء سيكون فيما بعد على خير ما يرام ... انهم مرتبكون خائفون من احوالهم المالية الصعبة غير انهم ، رغم هذا ، كانوا بعد انتهائهم من تناول طعامهم ، يهرعون الى مكتب المحاسبة حيث تتربع مدام كاسرول منذ عدة سنوات بابتسامتها الطيبة ويدفعون ما عليهم بكل رضى وسرور .

يا له من مقهى ، مقهى شاطىء الذهب .. وخصوصا لاولئك الذين ما زالوا يحافظون على الشباب والامل والاحلام ... ان كل من يعرف كيف يحرك ريشة على لوحة او جدار ، وكل من يعرف كيف يذيب قلبه تحت قلمه ، وكل من يعرف ان يجد فنانا في طباخ تماما كما يجده في شاعر ... كل من يعرف هذا كان من زبائن ذاك المقهى وكان محرابه يلجأ اليه .

ان مقهى شاطىء الذهب لم يكن فقط موضعا يشبع فيه الانسان شهيته ونهمه للطعام فحسب انما

كان ايضا عشا جميلا هادئا يجلس فيه المرء امام كأس من اجود المشروب على الاطلاق حالما بما هناك على الشاطىء الثاني من المحيط ، بتلك البقعة الجميلة المستحمة بالعطر من باريس الحلوة العذبة . انها غاستيا .

في ذات مساء دخل احد الغرباء وتاه بنظره في القاعة الفسيحة من المقهى . لقد انتهى من تناول طعامه الشهي اللذيذ ... انه يتأخر في الخروج ويبدو عليه كأنه يريد قول شيء . ثم ، بحركة من رأسه ، نادى صاحب المقهى وقال له ، بشيء من اللطف ، وهو ينظر الى صحنه الفارغ امامه : ان هذه العجة لذيذة شهية للغاية . هل تسمح لي بالذهاب الى المطبخ لاشكر رئيس الطباخين شخصيا ؟

ان هذا الغريب مجنون حقا . كيف يطلب بهذه البساطة وهذه السهولة مقابلة لو طلب عظيم من عظماء الارض تحقيقها لاعترضت سبيله الصعاب الجمة حتما ؟ ان يدخل هكذا بكل بساطة على السيد ادولف رئيس الطباخين ويزعجه معرضا لخطر الاتلاف صحن عجة او غيره .. ولكن لماذا ؟ ليقول له فقط وبكل بلادة : اني اشكرك يا معلم ادولف على عجتك اللذيذة الشهية ... يا الهي ان السيد كاسرول الذي كان اللياقة بعينها واللطف مجسما ، انه رغم هذا لم يستطع الاحتمال . واجابه بفظاظة ظاهرة :

— ان الذي تطلبه هو من المستحيلات ... نعم المستحيلات .

وفعلا كان ذلك .

لم يبق اما مالغريب سوى امر واحد اذن . هو الانتظار على الرصيف في الخارج حتى يبرد آخر قدر وينطفىء اخر نور في المقهى ليخرج السيد ادولف ذاهبا الى بيته الكائن في هارلم ثم يتقدم منه شاكرا تماما كما يتقدم من أحد العظماء ... ولكن ان يرجو تلك المقابلة منتظرا في كواليس المطبخ؟ وان يكون غريبا ؟ .. حقا انه امر من فظائع الامور .

صحيح انه كان هناك اشخاص يتمتعون بهذه الحظوة الكبيرة ولكنهم ما كانوا ليطلبوها هكذا بكل جرأة . والترشيح لها لم يكن ليتم بكل سهولة وصراحة . بل كان يجب الانتظار بصمت وخشوع تماما كما يحصل في انتخابات الاكاديمية .

كان عدد المرشحين الذين يحق لهم استقبال « الرئيس » — رئيس الطباخين طبعا — خمسة فقط . ولكن لم يهبط عليهم هذا الشرف بمجرد طلبهم الفوري للمقابلة كما فعل هذا

الغريب . بل كانوا يعرفون المعلـم منذ مدة طويلة وذلك مـن خـلال « اعماله وصنائعه » . انهم كانـوا يمجدونه من بعيد فقط ويرسلون اليه ايضا وايضا كلمات الاكبار والاخلاص الى ان هبطت النعمة عليهم اخـيرا فصاروا في عداد المحظوظين .

ان الخمسة هم : « دوبري » رسام ديكور المسرحيات التي تمثل في الجادة الثالثة والذي كان يحلم ان يرى يوما ما لوحاته تزين جدرانها . « ومارغريت غات » الشابة المحررة فـي احدى المجلات ، الامر الذي يجهله اكثـر الزبائن والتي كان دوبري يشتهـي الزواج منها لو لم تكن قد سبقتـه وتزوجت فنها .

وماسترز طالب الطب النحيل الجسم الحالم بأعمال كبيرة فـي الجراحة ، مشرحا الجثث في النهار وفي المساء ممزقا شطائر المعلم ادولف في مقهى شاطىء الذهب . ثم هار غرافـي الكاتب الصحفي صاحب المقـالات غير الموقعة التي كانت تسبب الشهرة لغيره في صحف الغرب . (هكذا كان يقول عنه خصومه) . واخيرا باتـي مارتان المشهورة بين كل من يهتـم باخبار المجتمع الصغيرة ولكن ليـس لكونها من شخصياتها بل ممن يوقعون في مؤخرة المقالات .

تلك كانت قائمة المحظوظين .

وكان هؤلاء الخمسة يتناولـون عشاءهم في مقهى شاطىء الذهـب فرحين ، ذات مساء ، جاهلين كـل شيء عن الساعة الكبـرى التـي تنتظرهم . لقد جاء المسيو كاسـرول نحو طاولتهم بعد ان قام بعدة زيارات للمطبخ وبعد ان اجتمع مطولا بالسيدة قرينته .. جاء اليهم وطلب منهـم الاستعداد لمقابلة « الشخصيـة » الواقفة هناك وراء صحون العجة . ما ان سمعوا بالامر حتى هبـوا جميعهم وجلين مضطربين كما لـو انهم كانوا في غرفة انتظار احـد الامراء ثم ولجوا الباب المـزدوج الذي ينفتح على المقـر المخصـص لادولف الاكبر امير الطباخين قاطبـة لفرنسا وما وراء البحار .

ان غات الصغيرة لم تستطع كتم ضحكة حادة وهي في الممر الـذي يقودهم الى حرم السيد ادولف ، الا عندما اسرع دوبري وكتمها لها براحة كفه سادا بها فمها ... بعد برهـة كان الخمسة في حضرة الذي ما فتىء منذ عدة سنين يستعمل عبقريته الفذة لخدمتهم بمعاونة لائحـة الطعام في المقهى .

كان ادولف ينتصب واقفا وسـط مطبخه ، ضخم الجثة كث الشعـر تحت قبعته الناصعة البياض تعلـو وجهه المحمر البادي كواحة ملونة وسط

صحراء بيضاء .. انحنى فارس الفرن قليلا لزائريه وهو يمسك بيده شوكته الكبيرة التي لا يتركها ابدا .

عند خروجهم فيما بعد من تلـــك المقابلة ، وحينما افصح كل واحــد منهم عن شعوره الخاص ، تعجبوا جدا عندما رأوا ان كلا منهم كان قد حمل انطباعا يختلف عــن انطبــاع الآخر . لقد تأثر احدهم ، اكثر مــن كل شيء ، بالنوافذ الكبيرة المطلــة على ساحة داخلية يأتي منها نسيــم عليل منعش كأنه يهب لتوه مــن الحقول . بينما تذكر الثاني غليــان القدر والبخار المتهادي فوقــــه . اما الثالث فقد اعجبته نظافة الارض .. غير ان غات الصغيرة اوجــزت مشاعرهم كلها عندما قالت ان كــل شيء في المطبخ يتناسب ويوحي بعظمة ذاك الذي يتربع على عرشه سعيدا .

كان ادولف قد تقدم نحوهم وبادرهم بلهجة كانت بحلاوتها اقرب شيء الى طعم العجة الشهية اللذيذة قال :

ــ انكم تفكرون باني من عظمــاء الرجال وتدعونني بسيد الطباخــين قاطبة لفرنسا وما وراء البحار . ولكن ما من احد منكم فكر بان وراء مقدرتي هذه يوجد سر كبير . وهذا السر يكمن هنا .

قال هذا وهو يشير الى مئزره تحت نظر الخمسة ودهشتهم ثم تابع :

ــ نعم هنا في مئزري هذا . انــي اعلم انه بالنسبة لكم ليس ســـوى مئزر بسيط عادي ولكنه بالنسبة لي يختلف الامر كثيرا . انه مئزر عجائبي .. لقد اعطاني اياه منذ زمن طويل معلمي في باريس . المعلم الاعظـــم برتران دي بويون . لقد خلعه عــن شخصه المحترم واعطاني اياه ... وانا منذ ذلك الحين لا انفصل عنـــه ابدا . ففي المساء بعد انتهاء عملــي آخذه معي الى البيت . الى ناتات الحلوة امراتي فتغسله وتهيئه للغد . وكما ان للرسام نموذجا يستوحيه ، هكذا انا استوحي مئزر برتران دي بويون وبدونه كل ما اطبخه يكـــون كريها لا يؤكل .

لا تشكروني انا اذن علــى العجة والفطائر وبقية المآكل الشهية التـــي تتذوقونها ولا تفكروا بي . انمــــا اشكروا وفكروا ببرتران دي بويـــون الموجود هنـــاك في باريس البعيـــدة والذي علمني كل خصائصي من الصغيرة حتى الكبيرة ومنحني مئزره لالبســـه دوما تمجيدا له وتمجيدا لفرنســـا . انه رجل عظيم .

يا له من خطاب .. صحيح انـــه بدا لهم مختصرا غير انه علــى كل حال خطاب جميل .. وبعد ان تأملوا مندهشين هدية برتران دي بويون دفعوا دوبري الى الامام فشكر ادولف

بكلمات تليق بالمقام على الثقة التي اولاهم اياها معلنا لهعن تفهم واعجاب الفنانين الحاضرين لشعوره . ثم ختم قائلا :

— ارجو كل الرجاء دوام لمعان نجمكم يا ادولف الاكبر فوق مقهى شاطىء الذهب .

وبكل احترام وخضوع خرجوا متراجعين على رؤوس اقدامهم . ولم يتكلموا الا عندما وصلوا الى طاولتهم .. لم يكن حديثهم عن الفن او غيره في تلك الليلة . لقد كان موضوع المناقشة المئزر السحري هدية برتران دي بويون العظيم . هل سيهترىء المئزر في يوم من الايام ؟ اخذوا يتساءلون فيما بينهم بخوف وهلع لهذه الفكرة . كان السيد كاسرول يلقي محاضرة عن الطقس هو واحد الزبائن على طاولة مجاورة .. ثم استدعي بسرعة . لقد جاء مهرولا وبلطفه الفرنسي المعهود طمأنهم قائلا :

ان المئزر مصنوع من قماش متين مقوى يدوم ما دام ادولف على قيد الحياة ... ثم زاد وهو يفكر دون شك بسعادة طباخه وبازدهار عمله : سنين طويلة .. طويلة جدا سيدوم .

اجابته باتي مارتين :

— ولكن يجوز ان يختفي هذا المئزر .. فماذا يكون لو لا سمح الله استيقظتم في يوم من الايام ووجدتم ان المئزر غير موجود ؟

كان الخوف يقرأ في عينيها وهي تقول هذه الكلمات ولم تتمالك عن تغطيتها بيديها . واصفر وجه السيد كاسرول المعبر وزم شفتيه ثم رفع ذراعه نحو السماء وهو يقول : لتحمنا السماء من مثل هذه المصيبة . ان هذا يعني الخراب لي . اني منذ عشر سنوات اغذي النخبة المختارة من شعبنا ولم اسمع طيلة هذه المدة سوى الشكر والمدح . ان ضياع المئزر معناه آخرة مقهى شاطىء الذهب .

غير ان المئزر بقي يزين وركي ادولف ، ومقهى شاطىء الذهب يواصل بكل هدوء رسالته اللطيفة التي كانت تدغدغ القلوب عن طريق سقوف الحلوق .. وظل الزبائن يتوافدون وسرورهم يتزايد غارقين بالاحلام الحلوة وهم يحتسون القهوة او المشروبات التي كان السيد ادولف يختم بها وجباته . وهكذا بقيت الابتسامة النقية تزهر فوق الذقن المزدوجة للسيدة كاسرول .

ومرت الشهور متعاقبة على هذه الحال .

وفي ذات ليلة فتح باب المقهى ولكن لا ليدخل منه فنان او شاعر

هذه المرة .. انما ليدخل فاسق اثيم الى شاطىء الذهب والى هذه القصة في وقت واحد .

لقد كان باريسيا ولكنه منحط لا يصلح لشيء الا للاثم والفجور ... كان السيد كاسرول يعرف لوفورب هذا منذ وقت طويل . اذ كان قد شاهده في الوطن وكان يعرف الكثير عن سمعته السيئة . لذلك قطب حاجبيه عندما رآه يتقدم نحوه مادا يده مصافحا وهو يقول :

ـ ها انذا ايضا جئت الى هذه البلاد الكبيرة لاتحقق فيما اذا كانت الثروة تنتظرني في زاوية من زواياها . لقد صنعت جيدا يا انطوان . اني سمعت الكثير عن شاطىء الذهب وها انني جئت محاولا فهم السر الكامن في مطبخك . انه سر يأسر القلوب ويفتح الجيوب .

ـ ما دام الامر كذلك سأرتب لك طاولة اذن .

لقد تكلف اللطف قدر طاقته فالسيد كاسرول من هذه الناحية قدير للغاية .. غير انه عندما رأى لوفورب يتأمل بانتباه كبير احد الصحون من صنع ادولف شعر بقلبه يقسو وندم على استقباله .. ولكن لماذا هذا الشعور نحوه فهو لم يؤذه مطلقا .

اما السيد لوفورب فتعمد الاطالة في وجبته ولا عجب في ذلك لانه حتى السافل المنحط ايضا باستطاعته ان يستسيغ عجة لذيذة ويتذوقها على مهل وهو يحلم احلاما عذبة عندما يرتشف تلك الخمرة المعتقة .

وحينما اقترب من الصندوق حيث تجلس السيدة كاسرول ممسكا بيده محفظته ، قال له السيد كاسرول انه لا يقبض ثمن الوجبة من احد معارفه القدماء ولم يبدر منه شيء سوى انحناءة صغيرة وغمزة من حاجبيه وهو يقول :

ـ وادولف اما زال موجودا عندك؟ وهل هو ما زال متعلقا بخرافته القديمة ... مئزر برتران دي بويون ؟

هز المسيو كاسرول كتفيه وهو يجيبه :

ـ ان ادولف دائما عندنا وهو رئيس المطبخ .

ـ اوه .

قالها لوفورب بلطف ومضى تلوح عليه دلائل المرح . في هذه المرة فقط ودعت مدام كاسرول زبونا دون ان تتفتح الابتسامة فوق ذقنها الخصبة .

وبعد ثلاثة اسابيع فتح لوفورب « المقهى المتجمد » في الجبهة المقابلة تقريبا لمقهى شاطىء الذهب .

بكل ابهة وعظمة وعلى انفاس الموسيقى الحالمة التي تذكر بالعاصمة البعيدة كان افتتاح المقهى الباريسي

الجديد . لقد كان اثاثه فخما للغاية والاضواء تشع منه متألقة وهاجة والبياض فيه ناصعا نظيفا وعدد كبير من الخدم مستعدين لاغراق الزبائن بالاطعمة والخمور الفرنسية . ولكن رغم كل هذا فالمؤسسة لم تنجح اطلاقا . كان بعض زبائن الصدف ممن يجهلون الفردوس المتجلي بصورة مقهى شاطىء الذهب يدخلون لتناول وجبة خفيفة في المقهى المتجمد . ولكن ما من احد منهم فكر في ان يجعل منه محرابه او ان يعود اليه ثانية . لقد كان الخدم يتنقلون في المقهى الفسيح دون هدف كأنهم يعرفون ان ما من احد سيدخل . انهم يتجمعون في احد ىالزوايا حول صحيفة منسية من احد الزبائن القلائل . لقد قام السيد لوفورب بهذا السفر الطويل وقطع الاطلنطي آملا ان يلتقي بالثروة في مكان ما من هذه البلاد الغنية الفسيحة . غير ان تلك الثروة حادت بطريقها عنه وذهبت الى غير مكان .

في هذه الاثناء وفي صبيحة يوم حزين قرع الشر ابواب المسيو كاسرول تحت مظهر ادولف مصفر الوجه لاهث الصدر يرتدي قميص النوم فقط مكسر الاجفان كأنه البومة التائهة في ضوء الشمس فلاقاه صاحب مقهى شاطىء الذهب بعبارات يشوبها الخوف وعدم الاطمئنان قال :

ـــ خير انشاء اللـــه ؟ انك آت على غير عادة في هذا الوقت المبكر من الصباح ؟

واجابه ادولف مترجرج الصوت :

ـــ لقد ذهب ... نعم ذهب واختفى .

وسأله كاسرول مرتسما في فكره ظن رهيب ما لبث ان تحقق في اللحظة التالية :

ـــ وما الذي اختفى ؟

ـــ المئزر مئزر معلمي برتران دي بويون .. لقد اختفى الى الابد .

وتهالك المسيو كاسرول على مقعد بجانبه . ان رجليه قد عجزتا عن حمله وستر وجهه بيديه كما فعل ادولف . وبومضة كلمع البرق تراءى له مقهاه الحبيب مقفرا من الزبائن كهيكل قديم بني لآله اصبح منسيا . لقد تخيل انواره المطفأة ومقاعده المصففة فوق الطاولات كما لو انه يستعد لليل أبدي واستولى عليه قيء شديد .. ثم زفر زفرة كأن روحه حاولت الصعود معها . وقال :

ـــ ان هذا من عمل الشيطان .

وسمع ادولف يزفر قائلا :

ـــ كما ان الفنان والنحات لهما نموذجهما .

ـــ يا للطاعون ...

اسكته السيد كاسرول بشراسة

وعنف وتابع :

ـ لقد سمعت هذا الف مرة . اذهب وفتش بدلا من النوح والبكاء . ان الرجل الجديد بهذا الاسم لا يبقى هكذا يذرف الدموع مكتوف اليدين .

ـ ولكني امضيت الليل كله وانا افتش . في كل مساء بعد ان تغسله زوجتي نانات تنشره على السلم وراء البيت . وهكذا فعلت أمس . وعندما ذهبت بعد قليل لتلقي عليه نظرة لم تجده . كان قد اختفى مئزر برتران دي بويون الذي بدونه . .

عاد السيد كاسرول الى الوقوف وحاول ارتداء ملابسه وهو يقول بكل عزم رغم اضطراب خفيف في شفتيه :

ـ ان شاطىء الذهب سيبقى دون المئزر .

ـ ماذا ؟ . .

وصرخ ادولف : بدون المئزر ؟ يا للصاعقة . . كما لو انك تقول ان الارض تعيش بدون الشمس . ان مئزر المعلم هو مصدر الوحي لي عندما اكون منهمكا في طبخ الاطعمة الشهية . . ماذا تقول ؟ بدون مئزر برتران دي بويون ؟ الا تعرف ان هذا من المستحيلات ؟

واجابه السيد كاسرول بعزم متصاعد :

ـ ان شاطىء الذهب سيبقى بدونه .

وبقي شاطىء الذهب . . . ولكن بأية حالة .

عندما جاء اول زبون في ذلك المساء وذاق صحن «الفتيلة» رفع رأسه بسرعة كما لو ان احدا صفعه على رقبته ثم نادى السيد كاسرول الذي جاء مسرعا غائر الخدين جاحظ العينين كرجل اكتسحته الحمى .

واحتج الزبون الذي ظن نفسه في حلم مزعج :

ـ ما هذا ؟ باردة . . مفعمة بالشحم قاسية كالنعل . . ابدا . . اني لم اتذوق من قبل اردأ من هذا الطعام .

وزفر كاسرول زفرة حزينة وهو يجيب .

ـ آه يا سيدي ارجو المعذرة . ان الرئيس . . رئيس الطباخين مريض ولاجل هذا جاء طبخه على هذه الحال . لك الحرية ايها السيد في تناول طعامك عند احد زملائي من الآن حتى يشفى الرئيس ويستعيد صحته .

وصرخ الزبون : اننا نعلم ان ارتياد مقهى شاطىء الذهب كان عند زبائنه شبيها بالقيام بشعائر دينية اكثر من شيء آخر .

ـ ابدا . . ابدا . . ابدا . . . على

كل حال تبقى الخمرة وهي من اشهى خمور الدنيا .. سأبقى اتناول طعامي هنا حتى يشفى السيد الرئيس المسكين .. فرداءة الطعام تذهب بها جودة الخمرة .

وهكذا كان موقف اكثرية الزبائن وبينهم الخمسة المحظوظين الذين كانوا وحدهم فقط يعرفون مصدر النكبة . ان محبي شاطىء الذهب كانوا امناء صادقين في محبتهم فلم يتخلوا عنه في هذه المحنة المدلهمة .

ولكن كم من اهوال تكبدها اولئك الزبائن المساكين .. كانوا كل مساء يبذلون جهدا كبيرا لتناول عجة محروقة او فتيلة لحم غارقة في الشحم او غير ذلك من الاطعمة انهم لولا تعلقهم بالمقهى لما تذوقوا منها شيئا حتى ولو ماتوا من الجوع ، فعلا انهم زبائن امناء صادقون .

ولكن بكل اسف ليس جميع الذين يرتادون المحراب الباريسي من هذا النوع . ان كثيرين منهم يأتون فقط لطيب اطعمته لا ليحلموا بما وراء البحار في غاسيتا او غيرها . لذلك عندما ادلهمت المصيبة اكتفوا بارسال تنهدة صغيرة فقط وذهبوا يتناولون طعامهم في غير مكان .

نعم لقد كانوا يذهبون الى غير مكان والمسيو كاسرول كان يقف جامدا على باب مقهاه ينظر بحزن واسى كيف أخذ مطعمه يقفر شيئا فشيئا منذلك الازدحام الذي كان يملأ قلبه بهجة وحبورا . بينما يلقي نظرة الى الجهة المقابلة من الشارع من خلال زجاج النافذة الى المقهى الجديد « المقهى المتجمد » فيرى كيف اخذت الحركة تدب فيه واخذ تجمده يسيل شيئا فشيئا تقدما وازدهارا . لقد كان السيد لوفورب يخرج من الحين الى الحين ويقف امام مقهاه ملقيا نظرة ذات معنى على احتضار شاطىء الذهب .

ثلاثة اسابيع طويلة .. ثقيلة انقضت على هذا المنوال . ذهبت ابتسامة مدام كاسرول التقليدية ولم يبق منها سوى الذكرى . وفي ذات مساء اجتمع الخمسة : دوبري وغات الصغيرة وماستر طالب الطب وهار غرافي الزنجي وباتي مارتان . اجتمع هؤلاء في شاطىء الذهب . لقد تكلموا في الشؤون والشجون الحاضرة . تكلموا عن مئزر برتران دي بويون واختفائه العجيب . وكان صاحب المقهى يدور حولهم كئيبا حزينا كعادته منذ ثلاثة اسابيع باكيا انهيار اعماله وامله الضائع .

ـــ آه لو ان ادولف لا تسيطر عليه هذه الفكرة البلهاء .. فكرة اسناد امكاناته الخاصة للمئزر ...

ابتسم ماستر الطالب قليلا وقال وهو ينظر الى دوبري يرسم والآخرون يكتبون ..

ــ انه المزاج الفني . ليس لنا نحن او انتم ان نفهم هذا يا سادة . غير اني استطيع طبعا تفسير هذه الظاهرة في ادولف : انها نوع من الخبل العادي واسمه العلمي ...

وقاطعه هار غرافي :

ــ كفى ارجوك . من عدم اللياقة ابدا ان تتكلم هكذا امام رجل محطم وخصوصا في حضوري .

ثم توجه الى السيد كاسرول مخاطبا : بالمناسبة يا سيدي الا يمكن ان نحصل من مكان ما على مئزر شبيه بمئزر برتران دي بويون ؟ طبعا ان السر لا يكمن في المئزر نفسه كما يتوهم ادولف ولكنه ، على الاقل ، يساعده على استعادة صوابه .

ــ لن نخدع هكذا ادولف العزيز ؟ .. انك تمزح ولا شك ... انه لاول لمسة سيعرفه وسيشعر باللعبة . هذا من جهة . ومن جهة ثانية ان ذاك المئزر عمره ١٠ سنوات ولا نقدر ان نجد مثيلا له الا في باريس .. كلا .. كلا ايها الاصدقاء .. لقد فكرت في هذا من قبل . ان مقهى شاطىء الذهب اصبح من ذكريات الماضي .

وفجأة قفز دوبري على رجليه ونادى الخادم ليطلب له سيارة ثم وقف بينما كان الآخرون ينظرون اليه باستغراب .

وقال وقد اصبح عند الباب :

ــ سأعود بعد بضع دقائق . انتظروني اذا كنتم تحبونني .

ثم خرج .

وانتظروه بصمت وهم يرتشفون القهوة التي امامهم والتي ما زالت العنوان الوحيد والاخير لمجد شاطىء الذهب الغابر ... وبعد عشرين دقيقة كان دوبري قد عاد يحمل شيئا تحت ابطه . ثم وضعه على الطاولة امامهم وفتحه . وصرخ كاسرول فرحا وقال :

ــ انه مئزر برتران .

فأجابه دوبري :

ــ ليس بالضبط .. انما هذا المئزر هو ملك لاحد طلاب الرسم المساكين .. كنت في يوم من الايام اتناول الغداء في المطعم الذي كان يرأسه برتران . قد مضى على ذلك عشر سنوات تقريبا . واشتريته لارتديه فوق ثيابي كي لا تتسخ من الاصباغ . آه كم ابارك فقري الآن هذا الفقر الذي اجبرني على شراء هذا المئزر ... ... ولكن اعطوني بيضا وسمنة لارى .

ــ اوه ... لا ... لاكفى . كفى . اذا عرف ادولف فماذا يكون موقفه ؟ ان خيبة امله هنا ستكون كبيرة .

ــ ولكن ادولف فريسة للوهم ليس الا. وهو لتوهمه بان هذا المئزر هــو لبرتران دي بويون سترون كيف تعود اللــذة والشهيــة لصحونــه وبقية مأكولاته .

ولكن كيف يجب ان نقدم المئزر ؟

عدة مشاريع عرضت ولــم ينــل الموافقة منها سوى مشروع دوبري الذي يتلخص بما يلي : نادوا علــى ولد من الشارع ودرسوه الامثولــة حتى حفظها تماما . ثم اخذ المئــزر بيده ودخل الى المطبخ حيــث ادولف اليائس المحطم يتخبط بين الصحــون والقدور الثائرة التي كانت فيما مضى لينة مطواعة بين يديه . وما ان وقع نظر ادولف على المئزر حتى صــرخ قائلا :

ــ لقد عاد مئزري العزيز ...

وبسرعة البرق خطفه من الصبي وتابع :

ــ يا لها من عجة مقيتة كنت اصنعها بدونك يا عزيزي . نعم انه هو ــ لقد عرفته ــ آه يا ادولف ما كنت آمــل ان اعيش مثل هذه اللحظة السعيدة . البسه . البسه ... نعم . نعــم وما عدت لاتركه ابدا ، حتى اني سأنــام فيه في الليل . هاتــوا بيضــا ... هاتوا سمنة هاتوا ... هاتوا ... هاتوا ...

وكل ما أمر به الرئيس الماهر حضر امامه بسرعة خاطفة وعادت يدا المعلم من جديد . يا لها من اطباق شهيــة لذيذة صنعها ادولف في ذلك المساء !

ان الابتسامة التي ذبلت فوق ذقــن مدام كاسرول المزدوجة عادت الــى التفتح مشرقة ريانة وعــاد مسيــو كاسرول يرفرف بين زبائنه كالعادة .

لقد اخذ دوبري قطعة من العجــة ووضعها في فمه ثم احس بها تسيــل تحت لعابه كأنها القشطة لذة ونكهة ... ثم فجأة لاح على وجهه طيــف من يأس حزين حتى ان مارغريــت التي كانت منهمكة بالتهــام بزاقاتهــا المحبوبة لاحظت عليه ذلك وسألتــه بتحبب قائلة :

ــ ما بك يا بيلي ؟

فأجابها وهو ينظــر اليها بعــين ساهمة : لا شيء، اني اتساءل فقط هل كان مئزري يحمــل في طياته مفعــولا سحريا عندما كنت ارتديه في ذلك الزمن الغابر ؟

ــ هل هذا هو الذي يحزنك يــا بيلي ؟

ــ كانت الاحوال جيدة في باريس عندما كنت ارتديه اما الآن في نيويورك ... الا ترين كيف اعيش ؟ فعلا انــه صليب ثقيل الحمل ... ولكن مــاذا لو نتعاون عليه نحن الاثنين ... لو نكون حقا . آه يا مارغريت متــى

ستوافقين ؟ هل يجب علي ان اتركك انت وفني معا ؟

وتظاهرت مارغريت بأنها تتذوق الطعام الذي امامها ، غير انها في اعماقها كانت تشعر بسعادة لطيفة ... كانت سعيدة كالسيد والسيدة كاسرول وادولف والزبائن والخدم ايضا ... في عيني دوبري فقط كان يرتسم ظل من أسى مزيج بين الحلاوة والمرارة . ونظرت اليه بحنان وقالت :

ــ اذا كنت تريد فبامكاننا الزواج في الاسبوع القادم .

نعم لقد عمت الفرحة مقهى شاطىء الذهب في اليوم الذي عاد فيه مئزر برتران دي بويون . وفي الايام التالية ايضا . وانتشر الخبر بان مرض ادولف لم يعد سوى ذكرى ... ذكرى مشؤومة . وعاد الزبائن القدامى الى الظهور ثانية مالئين جميع الطاولات وواقفين في الصف بعض الاحيان امام صندوق مدام كاسرول منتظرين دورهم ... لقد كان شاطىء الذهب في تلك الاثناء شبيها بمركب عاد الى المرفأ بعد سفرة طويلة ورأى جموع الاصدقاء تنتظره بحرارة .

اما في الجهة المقابلة من الشارع فقد ابتدأت انوار « المقهى المتجمد » بالذبول على مقاعد فارغة وطاولات عارية والسيد لوفورب ينظر بعين شريرة نحو شاطىء الذهب شاتما لاعنا في سره .

في اليوم المحدد تزوجت غات الصغيرة والفنان . وفي المساء احتجزت اكبر طاولة في شاطىء الذهب لعشائهما الزوجي ، لم يدع لتلك الحفلة سوى الرفاق الثلاثة ... البقية الباقية من المحظوظين الخمسة . وبقي السيد كاسرول يرفرف حولهم طيلة تلك السهرة وابتسامة الغبطة والرضا ترقص على شفتيه ، اما ادولف والذين يعرفونه فقد قدروا منه تلك الالتفاتة الحلوة حين جاء وشرب نخب العروسين .. وعندما ذهب جميع الزبائن وفرغت الصالة الا من اصحابنا الخمسة نهضت السيدة كاسرول متهادية بابتسامتها ثم تبعها مسيو كاسرول ريان الوجه ضاحك الفؤاد ... حقا انها ليلة سعيدة لم يمر احلى منها ابدا على مقهى شاطىء الذهب .

ولكن فجأة وبدون انتظار هبط على القوم خطب جديد مهول . لقد انفتح الباب وظهر ذاك اللعين لوفورب : المالك السفيه لمقهى غريب ... كان يحمل تحت ابطه شيئا شبيها بثوب ، ثم اجتاز الصالة دون ان يلتفت اليهم وتوجه بكل وحشية وعدم احترام الى حرم ادولف هكذا بلا سؤال ولا جواب ...

هب كاسرول في اثره تتبعه السبدة

كاسرول ثم دوبري وعروسه الفتية واخيرا رفاقهما الثلاثة . لقد كان لوفورب يلوح بمئزر تحت انف ادولف بينما وقف هذا الاخير جامدا يستمع كالسكران الى الكلمات التي كانت تتدحرج من فم اللص .

ــ في ذات ليلة بينما كنت اسير في احد الشوارع القريبة حمل الريح الي هذا والتقطته ، اني حتى اليوم كنت اظنه مئزرا عاديا لولا ما عرفت عنه من انه كان يخص برتران دي بويون الكبير وهو اليوم بحوزة جنابكم . لهذا اسرعت به الى هنا . ارجو الا اكون قد احدثت ازعاجا لاحد .

ثم نظر حوله وتابع :

ــ اني اكره كل الكره ازعاج الآخرين .

لم يكن وجه ادولف في هذه الاثناء من الاشياء التي يستحب النظر اليها . واخذ المئزر بين يديه والتفت الى السيد كاسرول غاضبا :

ــ ما هذا ؟ ما معنى ذلك ؟

لقد تمددت كل عضلة من عضلات وجه السيد كاسرول وانتشر فيها البياض من الهول والفزع . وقد لاحظ لوفورب ذلك . ولم يتمالك من ارسال قهقهة مكبوتة .

واجاب السيد كاسرول :

ــ سامحني يا ادولف ، لقد صنعت ما صنعت لاجل مصلحة شاطيء الذهب ولاجل مصلحتنا جميعا . كان يجب ان اصنع هذا . والا . . .

واتخذ وجه ادولف الاحمر شكلا مخيفا ثم قال :

ــ اذن لقد طبخت طيلة اسبوع كامل دون ان ارتدي مئزر برتران دي بويون ورغم هذا كانت الصحون التي اعددتها اشهى والذ من الصحون التي كان يهيأها المعلم نفسه . لقد عملت طيلة هذه المدة دون ايحاء ؟ هكذا كان الامر اذن . . .

اجاب لوفورب :

ــ نعم : هكذا كان الامر . لقد عملت بدون المئزر الذي كنت تستلهم وذلك بفضل خداع اعدائك هؤلاء الرسام والنحات و . . .

وصرخ ادولف :

ــ يا للطاعون . . .

وفتح الفرن الكبير وقبل ان يعرف احد ماذا تعنى حركته رمى بمئزر برتران دي بوبون الكبير وسط النار الملتهبة . فالتهمته بفرح وزغردة كأنها كانت تنتظر منذ وقت ان يتقدم اليها مثل هذا الطاهي بمثل هذه الهدية . . وعجت النار برهة ثم تحول مئزر المعلم الى رماد في الكومة الحمراء .

وصاح السيد كاسرول :

ــ يا الهي . . . ماذا صنعت ؟ لقد خربت بيوتنا ايها الابله . لقد حولت

مقهاي الى رماد .. أني اخدم هنا منذ عشر سنوات خيرة شعبنا وجئت انت بثانية واحدة وحطمت كل شيء ..

ثم تهالك على مقعد قريب وغطى وجهه بيديه محاولا دون جدوى طرد تلك الصورة القبيحة لمجده الآفل ...
لقد فهم الآن ان هذا الاسبوع الاخير من الغبطة والفرح كان بمثابة يقظة المحتضر . وهكذا اختفت الابتسامة ثانية عن شفتي السيدة كاسرول وتدحرجت دمعتان لؤلؤيتان على خدها المشحم .

ــ لقد خربت بيتي .. خربت بيتي ... اني منذ عشر سنوات ...

ــ هكذا كان ينوح السيد كاسرول عندما استوقفته نظرة عظيمة من عيني ادولف ونبرة من صوته وهو يقول :

ــ هاتوا بيضا ... هاتوا بيضا ... بسرعة ...

واعطاه البيض احد المساعدين .

ــ هاتوا سمنه ...

واعطاه اياها السيد كاسرول نفسه بيدين مرتجفتين .

ــ اشعلوا النار ...

واشعلوا له النار .

وبعد برهة وجيزة امتدت العجة في احد الصحون شهية نخاعية لا ألذ ولا اشهى . وغمس فيها ادولف شوكته الكبيرة المعهودة وصوبها نحو السيدة دوبري الصغيرة .. آمرا بلهجة لا تقبل الجدال بأن تتذوقها !

لم يدر احد سبب هذا الانتقاء من السيد ادولف .

ولكنها لم تكن تستطيع رفض المشيئة السنية . وبحركة مضطربة غرست شوكة صغيرة في الطبق الساخن المذهب واخذت قطعة منه حملتها الى شفتيها ثم اختفت في حنايا الفم الصغير ... لقد كان السيد كاسرول يمسك اطراف الطاولة بقبضتيه ويشد بهما بحركة عصبية بينما استطالت عنق السيدة كاسرول الى الامام .

وسأل ادولف الآمر :

ــ كيف وجدت طعمها ؟

واغمضت العروس عينيها وراحت تمضغ اللذة بتأن وتمهل قائلة :

ــ لذيذة ... لذيذة طيبة .

وابتهل السيد كاسرول :

ــ شكرا لله .

وتكلم ادولف :

ــ بوه . برتران دي بويون ... يا له من مسكين ...

عندئذ لم يستطع لوفورب كبت لعنة انفجرت بين شفتيه النحاسيتين وذهب لايلوي على شيء ... بينما ازدهرت ابتسامة فتية على شفتي مدام كاسرول مرتوية بدمعتين دريتين من الفرح ...

هكذا انتهت قصة مئزر برتران دي بويون الذي زال منذ ذلك اليوم المجيد تماما من مقهى شاطىء الذهب .



بين المزاح والجد

بقلـم جاك ديلون

قال المفتش البدين :

ــ حسن ؟

ولم اجد ما اجيب به . فقد اكتشف في الدرج الايمن الاخير من مكتبي حقيبة يدوية حمراء .

وقال انهم عثروا على حافظتي نقود اخريين في شقتي . وكان شهر كامل قد مر على موجة سرقة الحقائب اليدوية في مكتبنا . وكنت اوشك ان انسى الامر . اما الآن فقد ارتكبت .

ــ اسمع ... انا ... انا لا افهم شيئا من كل هذه الحكاية .

وشعرت ان وجهي اصبح قانيا كالدم .

ــ لوحظ انك تعيش في مستوى اعلى من مستواك المعتاد ، أليس صحيحا يا بني ؟

ــ ولكن هذا لا يثبت شيئا بحق السماء .

ــ هل انت واثق ؟

واحسست باني على وشك ان يدهمني القيء . وجلست وقلت :

ــ ماذا ستفعل ؟ هل ستوقفني ؟

ــ لو ان الامر يتعلق بي فقط لفعلت . لا بد انك ناجح لدى فتيات المحل . وهذا ما دعاهن الى الدفاع عنك .

ــ ماذا تقصد ؟

ــ تقول احداهن انك كنت متغيبا عن المكتب عندما سرقت محفظتها . وكأن بوسع الانسان ان يحفظ مثل هذه التفصيلات الدقيقة بعد ستة اسابيع ... ومهما يكن من امر فقد تمكنا من اقناع مديرك هولمز بان يطوي القضية ريثما نتوصل الى ايضاح كافة جوانبها .

ورشقته بنظرة غاضبة :

ــ لا احسب انك تحمل اية شكوك حول هذا الموضوع ؟

فقال بلهجة حاقدة :

ــ سوف تقع بقبضتنا يا فتى .

وخرج دون ان يضيف اي كلمة او يلقي مجرد نظرة الى الوراء .

وظللت مسمرا في مقعدي . سارق تحت المراقبة ... والسيء في الامر كله اني فعلا كنت اعيش في مستوى اعلى من مستواي ولكني لم اكن استطيع اثبات كيف . وكانت صديقة قديمة من زبونات احد المخازن الكبرى في سان فرنسيسكو قد عرضت علي رحلة فخمة على حسابها في اثناء اقامتها بنيويورك ولكنها اصرت على احاطة ذلك بالكتمان .

وامضيت بقية قبل الظهر في التظاهر بالعمل ولكن دون ان اقوم بأي عملية . قناعتهم نحوي اكتملت : كيف يكون بوسع محاسب في السادسة والعشرين من عمره يلعب دور زير النساء بمرتبه الذي لا يكاد يسد الرمق؟ ماذا يستطيعون ان يفكروا في غير هذا ؟

ويبدو ومع ذلك ان القضية لم تتضح تماما حتى الآن . فلدينا ١٥٠ مستخدما . وطوال قبل الظهر لم يكف الناس عن المجيء والذهاب وهم يحملون فواتير للتدقيق او كشوف حسابات للمراجعة . وكانوا يمزحون كعادتهم بينما احس انا بالضيق ثقة مني بان الفضيحة سوف تنفجر ذات يوم . حتى ولو لم يتمكنوا من تقديم الادلة ضدي فسوف اوضع تحت الشبهة . والناحية المأساوية في القضية كلها ان ثمة شخصا ما يريد ان يرمي التهمة علي لكي يظل هو بعيدا . وهذا يعني انه سيكون بوسع البوليس ، في اي لحظة ، ان يقع على دليل ما يكون كافيا لوضع الحبل في عنقي بكل بساطة . وليسامحني الله فليس في هيئتي ما ينم عن اني لص ، ولكن اذا ما راودتني الرغبة ذات يوم في الاستيلاء على اشياء الاخرين فلن يقع اختياري على الحقائب اليدوية .

وفي هذه اللحظة جاءتي الفكرة للمرة الاولى . وهذا ما سأقوله لهم : اما ان اكون لصا فيجب على الاقل ان تكون الغنيمة جديرة باللعبة .

والشيء الغريب الذي احسست به هو ان عقلي الباطن لا يكف عن العمل . وتذكرت بغتة مغامرة حدثت لي قبل عدة اشهر . ولم اكن قد ابهت لها في حينها . اما الآن فقد شعرت بالسرور العظيم لما يمكنها ان تقدم لي من دليل وشعرت بالارتياع من ضخامة الواقعة .

في ايام دفع الاجور يضع امين الصندوق السيد فورستر مرتب كل منا في ظرف مختوم . وفي العشية يكون قد سحب المبلغ الاجمالي من البنك . ويتم ذلك بأن ينظم شيكا باسم الشركة يضع توقيعه في اسفله . ثم يجيره

من السيد هولمز ومن ثم يتوجه الى مصرف الاسترن اكسشانج حيث كان قد اودع ١٣،٧٩٥ دولارا ونصف الدولار .

وفكرت : لنفرض اني دخلت الى مكتب السيد هولمز ووضعت المبلغ على طاولته وقلت له : هذا ما يسمى سرقة يا سيد هولمز ... اما اذا كنت تبحث عن نشال فانظر الى مسكين يكتفي بسلب المحافظ اليدوية. الا يكون هذا درسا بليغا لهم جميعا ؟

اما ما يروعني فسهولة العملية . فنحن يوم ٩ شباط والخميس المقبل هو يوم ذكرى ميلاد لينكولن ، وفيه تعطل معظم الشركات ما عدا شركتنا.

ويوم الخميس هو ايضا يوم القبض الاسبوعي عندنا بحيث يكون بامكاننا وضع اجورنا في البنك اذا كان بودنا اخذ شيكات مقابلها .

وهكذا ذهب السيد فورستر ، يوم الاربعاء ، لاحضار شيكه من البنك لكي يكون بوسعه اعداد مغلفات الاجور للمستخدمين حتى ظهر الخميس . ولكن لو كان عندنا تعطيل كسائر الشركات افلا يتوجب عليه ان يقبض الشيك يوم الثلاثاء ليدفع لنا يوم الاربعاء ؟ بالطبع .

ومن الذي سيكلف بالذهاب واحضار المال لو ان السيد فورستر اضطر الى ملازمة بيته لمرض طاريء ؟ مساعده بالطبع ، يعني انا نفسي .

بعد ظهر نفس اليوم ظللت اعمل حتى ما بعد الساعة الخامسة . ولم يكن في المكتب اي واحدة من البنات اللواتي علمن ان بعض الحقائب اكتشفت في شقتي . وعندما اصبحت دائرة المحاسبة خالية تماما توجهت الى الصندوق الحديدي وفتحته وانا اكرر ، قدر الامكان ، حركاتي المعتادة ، بحجة اني اودعه بعض المستندات قبل انصرافي .

ولم يعر اي من المستخدمين الموجودين انتباهه لما جرى. واخرجت دفتر الشيكات ونظمت الشيك المعتاد بمبلغ ١٣،٧٩٥ دولارا ونصف الدولار. ثم زورت توقيع السيد فورستر نقلا عن احدى الرسائل وتوقيع السيد هولمز نقلا عن مذكرة ادارية . وكانت يداي ترتعشان وانا اغلق الصندوق. وقلت في نفسي : لم يبق علي الآن سوى وضع الشيك في مغلف والمغلف في جيبي . وهذا ما فعلته ، ولكن حدث اثناء ذلك ان تركت المغلف يسقط مني فبادرت احدى عاملات الآلة الكاتبة قائلة :

ـــ سألتقطه لك يا سيد تايز .

وفغرت فمي وانا انظر اليها وهي تجثو على الارض وتلتقط الظرف وتقدمه الي . وكانت يداي في هذه اللحظة من الارتعاش بحيث اوشكتا

ان تفلتنا الظرف مرة اخرى ولكنـــي تمكنت من السيطرة عليهما وشكــرت الفتاة واودعت المغلف في جيبي .

وكدت لا انام في الليلة التاليــة ، فقد رحت انقلب فيسريري ذات اليمين وذات اليسار حتى انتهى بي الامــر اخيرا الى النهوض . ما الذي سيحدث لو ان الامــور انقلبت علــى أســوأ حالاتها ؟ هــذه الفكرة جعلتني احس بما يشبه طعم الرماد في فمي . سأزج في السجن . ولكني افضل السجــن على هذا الشبح الذي يلاحقني طوال حياتي . شبح التهمة . وضحكت في اعماقي عندما خطر لي اني سأكــون اول من يعمد الى السطو علــى بنك ليتجنب دخول السجن . . . وادركت ان العملية كلها قد اخذت طريقها الى التنفيذ بدافع لا سبيل الى مقاومته .

ثم خطرت لي فكرة كفيلة بتبرئتــي اذا ما حدث امر ما ليس بالحسبان . لماذا لا اكتب رسالة الى السيد هولمز تصله بعد وقت قصير مــن قيامــي بالجريمة . وبعد ذلك ، اذا تم كــل شيء حسب الخطــة المرسومــة ، سيكون بوسعي ان ابرهن له ، دفعة واحدة ، اني لو كنت لصا لكان لي من الجرأة والخيال ما يؤهلني لضربـــات كبيرة لا للاكتفاء بنشل الحقائب اليدوية في المكتب ، ثم اذا كشف امري فعـــلا يكون علـــي لاثبات براءتي انتظـــار وصول رسالتي الى هولمز لتنكشف نيتي الحقيقية .

وانتهى بي الامر الى الاغفاء قليلا عند الفجر .

وعندما وصلت الى المكتب لم يكن باقيا امامي سوى خطوتين اقوم بهما . اولهما الاتصال تلفونيا بالبنك واخطاره بانه نظرا ليوم العطلة فسوف نسحب المبلغ اليوم ، وان السيد تايز سوف يحضر لسحبه بدلا من السيد هولمــز المريض في منزله . وثانيهما القيـــام بالخطوة نفسها . وحوالي الساعـــة الحادية عشرة اعود الى مكتب السيد هولمز حيث ستأخذه الدهشة ولكنـــه سيقتنع تماما بالنهاية .

وكانت المخاطبة التلفونية الجــزء الاكثر دقة في خطتي . واذا كنت قد قمت بها على ما يرام فالفضل عائـــد الى الرعب العظيم الذي حبس صوتي حتى كاد لا يسمع بل بـــدا كصــوت المدير الاجش ، حتى ان نائب رئـــيس البنك اجابني :

ــ تماما يا سيد هولمز . سوف نكون بانتظار السيد تايــز حوالـــي العاشرة اذن .

وحملت حقيبتي تماما كما يفعل السيد فورستر . ولمـــاذا اثـــارة شبهـــات اللصوص باصطحاب حراس لك بينما تكفي حقيبة بريئة المظهـــر للقيـــام بالمهمة .

واخذت سيارة اجرة الى البنك الذي يقع على بعد عدة بنايات من مكتبنا في الشارع السابع والخمسين ، وتحول منديلي الى خرقة مبللة من كثرة ما امتص من العرق الناضح به وجهي قبل ان اصل الى البنك . واذا ما خطر للبنك ان يعيد الاتصال بالمكتب ؟ واذا تلفن فورستر او هولمز الى البنك ؟

ثمة دائما الرسالة التي اودعتها البريد تحمل دليل براءتي ولكن طوق النجاة هذا بدا لي ، في هذه اللحظة ، تافها وغير مجد .

واخيرا اصبحت امام البنك ودفعت للسائق اجرته بيدين مرتعشتين . وقلت في نفسي : « عليك يا صاحبي ان تسيطر على اعصابك في الداخل اذا كنت راغبا في نجاح عمليتك » .

ومع ذلك فقد جرى كل شيء كما لو كنا نقوم بتجربة . فقد سألني نائب الرئيس عن صحة السيد فورستر وطلب امين الصندوق رأيي في بعض المباريات الرياضية ، وكان هذا كل شيء .

وانتهى المشهد ، وغادرت البنك في الضباب . والمحفظة بيدي : ها انا قد سطوت على البنك . والعملية جرت دون اي عائق .

وعبرت الرصيف وناديت تكسي . وفكرت اني قد قمت بضربة خليقة بجون ديلنجر نفسه . حوالي ١٤ الف دولار ! ما يعادل اكثر من اجوري لمدة ثلاث سنوات ...

ووصلت التكسي ووقفت بالقرب من الرصيف فوثبت اليها . واعجب ما في قصتي الامر الذي اعطيته للسائق والذي لم يكن قد خطر لي من قبل

ــ الى المطار ، ارجوك .





رجل الممر

بقلــم جوان غراي

يوجد في طرف حديقتنا جدار عال مشاد بالاجر ، يقوم في الناحية الثانية منه « المر » وهو عبارة عن « منطقة محرمة » غريبة . وهذا « المر » الذي تكتنفه الاسرار ويحيط به الغموض ، كان في نظرنا اكثر بعدا من ادغال افريقيا . فلم يسمح لاحد منا ابدا بالدخول اليه او القاء نظرة عليه . حتى لو اننا تسلقنا شجرة التفاح فان كل ما نتمكن من رؤيته عندئذ هو قمة الجدارين المشادين بالآجر . جدارنا والجدار الآخر القائم في الناحية الثانية من المر .

ومن المر تصل الى آذاننا اصوات غريبة ــ اصوات اصطكاك حديد ، وانفجارات ، واحتكاك اشياء وحفيف عجيب .

وكنا نسأل :

ــ لماذا لا يسمح لنا بالذهاب الى المر ، يا عمتاه ؟

وكان جواب العمة الوحيد :

ــ هذا شيء خطر .

خطر . وذات مرة توجهنا ، جون وانا ، تحت جنح الظلام ، الى اعماق الحديقة ، وقبعنا في اخمص الجدار لكي نصغي الى ما يمكن ان يأتينا من اصوات المر . لا شيء . ثم ، فجأة ، علت صيحة هائلة ما انفكت تضعف وتضعف حتى تحولت الى خوار خافت ... وانطلقنا نعدو صوب المنزل تلاحقنا اصداء تلك الصرخة المريعة !

ثم جاء وقت الرجل زي المعطف الواقي . لم يحدثنا احد باي شيء عن قصة هذا الرجل ، فكل ما قيل لنا انه، اذا ما وقعت اعيننا على رجل يرتدي معطفا واقيا كستناوي اللون متسخه، ورأيناه يقترب منا ، فعلينا ان نستدير على اعقابنا وننطلق راكضين ، غير اننا كنا نصيخ السمع بكل جوارحنا عندما يشرع الكبار بالحديث في هذا الموضوع . ولم نكن لنفقه مما يقولونه كبير شيء ما خلا ان هذا الرجل يرتكب فظائع مروعة .

وبعد هذا تولد فينا ميل الى رؤيته في كل مكان ، في اسفل الشارع ، امام المدرسة ، بالقرب من المخازن . وكم كنا نركض مذعورين ! حتى لكأن اقدامنا لا تلامس الثرى ... ونتوقف

اخيرا عن الاندفاع وقد أضسر بنا التعب والارهاق .

وذات يوم روت ماري ان امها شاهدت الرجل ذا المعطف الواقي في « الممر » وراء بيتنا . وصرنا نتحاشى الاقتراب من طرف الحديقة .

ولدى عودتنا من المدرسة ، في الاصائل ، كنا نفضل الدخول من الباب الرئيسي على اتخاذ المدخل الخلفي .

وهذا الامر سبب مضايقة عظيمة لالزي الخادمة التي بادرتنا قائلة :

ــ اذا كنتما تعتقدان انه يتوجب علي المجيءمن المطبخ لافتح لكما الباب فانتما على خطأ فادح . ولا بد لكما من تبديل افكاركما . في المرة المقبلة ادخلا من الباب الخلفي من فضلكما . هل هذا مفهوم ؟

وذات ليلة لم يعد بات الى المنزل . وبات هو كلبنا . وكان من عادته دائما ان يؤوب مع هبوط الظلام .

وقال جون :

ــ هيا بنا حتى حاجز المدخل لالقاء نظرة .

واختفينا هناك ، ولكن عندما هممنا بالدوران حول الزاوية رأينا هذا الشبح القاتم في الناحية الثانية من الحاجز .

وفي هربنا الجنوني باتجاه النور والامان وطئنا باقدامنا الصغيرة المرتاعة ازهار « البيغونيا » الثمينة التي تخص العم . ووجدنا المدخل مغلقا . واندفعنا ندق الجرس ونركل مصراع الباب . واستطاعت آذاننا التقاط صوت صرير الباب الحديدي ووقع خطوات ثقيلة تتقدم على الحصى .

وبدت الزي غاضبة وصاحت :

ــ سوف اروي لعمتكما كل شيء !

ــ ولكن ... يا الزي ... انه الرجل ذو المعطف الواقي جاء من وراء الحاجز .

وفتحت الزي الباب وقالت :

ــ اوه . هذا انت يا سيد شارد . انها المرة الثانية التي ينسانا فيها الخادم هذا الاسبوع . انت دائما لطيف . اوه يا سيد شارد انك رائع . حسن الى يوم الثلاثاء اذا استطعت فالثلاثاء هو يوم عطلتي وفي مسائه اخرج . وبالتأكيد ، الى كل يوم احد .

وبدا خدا الزي متضرجين للغاية عندما اغلقت الباب ووضعت الجريدة المسائية على طاولة الردهة . وراحت تدندن باغنية هي تنقلب الى المطبخ . لقد نسيت امرنا تماما . ومثل هذا لم يحدث بالنسبة للعم . فقد اخذته سورة غضب عنيفة عندما رأى ازهاره في اليوم التالي وما صارت اليه حالها .

وقال انه لن يسمح لنا بالذهاب

الى السوق الخيرية . الا ان الامر لم يضايقنا كثيرا لاننا ما كنا نحب الذهاب الى السوق الخيرية التي تقام في الكنيسة ، وبخاصة لاننا نكون بصحبة شخص كبير لا يكف يهيب بنا ان اصمتا، او كونا عاقلين ، او كفا عن الركض ولكني مع ذلك كنت احب ان العب في الغرفة . وكانت لعبتنا ان نطلي وجوهنا باللون الرمادي لنمثل اكلة لحوم البشر في احدى الجزر حيث يأتي احد المبشرين لتعليمنا القراءة . ولم يكن بالطبع مبشرا حقيقيا بل والد هازيل سوانسون بشاربه الاحمر .. وكان ينبغي لهازل ان تأتي وتغني في الغرفة اغنية « يا للايام السعيدة » .. وكان جون يستعد لقذفها بالكرات من وراء ظهور اكلة اللحوم البشرية . ذلك ان جون كان يزعم ان هازيل مغرورة وان عدة كرات كافية لاعادتها الى صوابها .

عوضا عن كل هذا كان علينا ان نبقى مع الزي ونتعشى في المطبخ بالقرب من النار . وقدم الينا البيض والشطائر والخبز المحمر . وسمحت لنا الزي حتى بمطالعة مجلاتها وهذا ما يدل على انها كانت صافية المزاج . وكانت عمتنا تطلب الى الزي دائما ان تخفي « مجلاتها الفظيعة » بحيث لا نتمكن من رؤيتها ولكن عندما كانت تخرج مساء مع العم كانت الزي تسلمنا احيانا حزمة كاملة من تلك المجلات .

وكانت القصص التي في هذه المجلات تتعلق بكل ما يهم الاشخاص الكبار . وبشكل خاص : « المغامرات الهائلة لفيرا دلاناي » وكانت فيرا فتاة طيبة لها عينان مليئتان بالاسرار ووجها قاسيا . وكان من عادتي ان اتساءل انا عما اذا كانت عيناي مليئتين بالاسرار او انهما ستصيران كذلك عندما اكبر ولكني لم اكن واثقة جدا من الوجه القاسي . فوجهي ناعم الملمس دائما .

وكان لفيرا صديقة ، فتاة رقيقة جذابة تدعى بربارا لسلي ولكن جميع الناس كانوا ينادونها « بابس » ... وكانت بابس مخطوبة الى جيم فينويك وكانت فيرا ولهانة به لدرجة الجنون والى درجة انها كانت تروي له الاكاذيب حول بابس اكاذيب لم تكن هي نفسها تصدقها . ومن ثم ، وذات ليلة ماطرة دفعت فيرا صديقتها بابس في بركة ماء وامسكت رأسها تحت الماء الاسود .

وقال جون بغتة :

ــ ثمة احد في المدخل .

والقتا نظرة على المدخل .

كانت هناك الزي والسيد شارد : هو يحاول القاءها ارضا وهي تدفعه ... غريب مسلك الاشخاص الكبار !

ومضينا نتأمل المشهد خلال بعض الوقت .
ولم نستطع سماع ما كانا يقولانه الى ان صاحت الزي :
— من تحسبني قل : اخفض صوتك سيسمعك الصغار ... ايها السيد شارد انك تؤلمني !
ومن ثم رأيانا فصاحت الزي بنا :
— ادخلا الى المطبخ ...
اغلقنا الباب بسرعة . وعندما عدنا وفتحناه كان المدخل خاليا غارقا في الظلام .
وقال جون :
— هم هناك . في الخارج .
كان باب المدخل قد ترك مفتوحا ليدخل منه هواء بارد فأسرعت اليه واغلقته بلا ضجة وقلت .
— الآن ينبغي لها ان تقوم بالدورة حتى الباب الخلفي .
وانطلقنا نضحك بمرح .
والواقع ان السيد شارد اعتاد على المجيء مساء كل خميس ففي مساء كل خميس يكون لدى عمتنا والعم اجتماع في الكنيسة . ولم نذكر نحن شيئا عما يحدث . ذلك ان الزي كانت تسمح لنا بمجلاتها كما كان السيد شارد يفرقع بنقوده في جيبه ثم يمنحنا قطعة منها قبل ان نصعد لننام .
احيانا كنت ارى احلاما غريبة . وذات ليلة حلمت باني عطشت فنهضت ونزلت الى المطبخ لاشرب . وكانت درجات السلم تصر تحت خطواتي كما تفعل في اليقظة . وكان المطبخ غارقا في ظلام بهيم ما عدا الالق الاحمر النابع من الموقد .
وكما يحدث في الاحلام عرفت ان شخصا ما سيأتي . وكان هذا الشخص العم جورج . وكان يحمل مصباح جيب وراح ينظر الي في عيني وهو يمر امامي . وتابع طريقه فاجتاز الباب الخلفي وتوغل في الحديقة . سرت على آثاره لاني كنت دائما اتوق الى الخروج بثياب النوم والخف . واستطعت ان ارى مصباح الجيب يتراقص على حصى الممر . وتابع العم جورج سيره حتى طرف البستان ثم تسلق الجدار واختفى . وبسبب الظلام الدامس اصطدمت بالسلم المسند الى الجدار . وما ان بدأت التسلق حتى انتهت الي اصوات عجيبة آتية من الممر : ضجة مدافعة، وهمسات قوية ثم صوت اصم اشبه بركلة قدم على الارض .
وقفزت بحركة مرتاعة الى اسفل السلم وقلبته فاصطدم بالجدار واحدث صوتا قويا . وطال به الامر حتى سقط وظل صدى سقوطه في اذني حتى وصلت الى البيت . ولما بلغت الباب شاهدت دائرة صغيرة من

النور تبحث في الظلام . هذا هو حلمي كله .

في صبيحة اليوم التالي كانت الردهة حافلة باشخاص غرباء . ودخلنا ، جون وانا ، الى غرفة المائدة ، حيث كان البرد شديدا لان احدا لم يكن قد اشعل النار في الموقد المليء برماد العشية .

وفي المطبخ كانت العمة ماري تعد طعام الفطور .

وقال جون :

ـ لم تشعل الزي النار في غرفة الطعام .

فردت العمة ماري :

ـ الزي ليست هنا . الزي قد .. الزي قد ذهبت ...

وبدت عيناها حمراوين وهذا امر غريب حدوثه لدى الاشخاص الكبار . واجتاز الباب شرطي . جون كان يرغب في ان يصبح شرطيا في المستقبل .

وقال جون :

ـ حسن . ها نحن الآن نعرف ذلك .

فسأله الشرطي :

ـ ماذا تعرف يا بني .

ـ تقول بيتي ان رجال الشرطة يخلعون قبعاتهم عندما يدخلون البيوت ولكني كنت اسألها كيف يتسنى لهم ذلك وقبعاتهم جزء من بزاتهم لا يتجزأ .

ودخل العم جورج الى الردهة مع الرجلين .

وقال احدهما :

ـ احب ان القي بعض الاسئلة على الاطفال .

فردت العمة ماري بعنف : كلا . ليس للاطفال علاقة بهذا الامر .

ـ آسف يا سيدتي . فلربما حدث ان سمعوا شيئا ما .

ومن النافذة رأيت شرطيا آخر في الحديقة . وغمرني احساس سعيد باننا قد لا نذهب الى المدرسة هذا النهار وقال احد الرجلين :

ـ يا ولدي . سألقي عليكما سؤالا . فكرا بدقة قبل الاجابة . انه ...

وقالت العمة ماري بسرعة شديدة :

ـ حول موضوع الزي فقد حدث لها حادث في الليلة البارحة ... في « الممر » . ولكن ليس مسموحا لبيتي وجون بالذهاب الى هناك . وفي جميع الاحوال كانا عندئذ في سريريهما غارقين في النوم .

وردد الرجل بصبر :

ـ فكرا بدقة قبل ان تجيبا . نحن نعتقد انه من الممكن ان يكون شخص آخر مع الزي . رجل . فهل تستطيعان معرفة اسم الرجل الذي

كانت الزي تعرفه والذي يمكن ان يكون قد التقته في الممر الليلة البارحة ؟

قلت وقد امتلأت عيناي بالاسرار وقسا وجهي :

ــ انه العم جورج .

ووجدت البيضة التي كنت اهم بكسرها قاسية هي الاخرى .

وساد صمت عميق حتى حسبت ان احدا لم يسمعني ولكني عندما رفعت رأسي وجدت جميع العيون شاخصة الي وهي جاحظة .

ــ كنت اهم بصب قدح من الماء لاشرب في الليل عندما رأيت العم جورج يخرج ويتسلق الجدار ليذهب الى الممر . وعندئذ سمعتهما يتكلمان : العم جورج والزي . وكانت لا تكف تردد : كل ذلك بغلطتك . لا بد لك من ان تساعدني . ألا تفهم ؟ وعندئذ غضب العم جورج غضبة شعواء ... وفي تلك اللحظة قلبت السلم ...

وقالت العمة ماري بصوت حاد :

ــ يوجد سلم في اقصى الحديقة اليس كذلك يا جورج ؟

ولم يجب العم جورج ...

فتابست العمة ماري بهدوء :

ــ لم يكن عندنا سلم لان الاطفال .

وتنحنح العم جورج :

ــ كنت اتركه ملقى وراء الاشجار .

وقالت العمة ماري :

ــ اوه ، لماذا يا جورج ؟

فقال :

ــ كنت بحاجة اليه من اجل الاشجار .

وقلت :

ــ هل استطيع الحصول على شطيرة اخرى ؟

يبدو ان حلمي قد اعجبهم .

وذهب العم جورج مع الرجال ولم يعد ابدا . ولم نر الزي ابدا ايضا ولا الرجل ذا المنعطف الكستنائي الواقي . ولكن كنا نرى السيد شارد كثيرا . وهو دائما يتحلى بلطفه المعتاد . وهو يعطينا النقود دائما .



رهانه على ٥٠٠ جنيه

بقلم : ل٠ ج٠ بيستون

كانت الساعة تقارب العاشرة والنصف مساء عندما دخل ويسترام الى صالة نادي « يالو كلوب » قائلا :

ــ لقد انفتحت ابواب السماء . انه مطر شديد حقا . ثم اخذ كرسيا جلس عليه واجال بصره في الموجودين الجالسين حول المدفأة مؤلفين نصف دائرة وسأل :

ــ اين بارباسكا . اليس هنا ؟
فأجابه وودس الطبيب :
ــ انه في قاعة البليار .

استفهم منه شيبرسن مدير النادي وهو يتثاءب قليلا :

ــ ولكن من اين انت آت الآن في هذا الطقس السيء ؟

واجابه ويسترام :

ــ لقد عملت جهدي ــ كما ترى ــ لاحضر مسرحية النظرات المخملية في مسرح « بيراج » وانا آت من هناك .

ــ اني اشك بقدرتك على مقاومة الضجر فيها . لقد عرضوها علي في البداية ... ان ٥٠ بالمئة منها تفاهة والباقي هذيان .

وتدخل ماكلود الصحافي :

ــ راي قاطع .. انك قاس جدا يا شيبرسن ... انت دوما كذلك .

بعد هذه المحاورة القصيرة خيم صمت ممل طال مدة ربع ساعة تقريبا .. وكان هذا الهدوء المخيم قد انقطع عندما دخل ويسترام القاعة . لقد كان منظره يوحي بانه رجل منهك القوى قانط . ولم يكف لحظة عن الالتفات الى الباب .

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة عندما عاد بارباسكا من قاعة البليار .. دخل وهو يقول :

ــ اني مصاب برشح مزمن قوي يلازمني دوما .

ثم ذهب الى المدفأة وجلس امامها موليا ظهره اليها . هكذا كان يجلس دوما . وهذا مما كان يزعج بعض الشيء اعضاء النادي وبالفعل كان بارباسكا زميلا بعيدا عن اللياقة . وبعد ان جلس قال له شيبرسن مدير النادي :

ــ ويسترام يسأل عنك ..

ثم التفت نحو هذا الاخير وقال :

ــ ايقظوه .

وهب ويسترام مجيبا :

ــ من الذي نام ؟ انا ؟ اني لم انم . على كل حال ليس لدي اي شيء اقوله لبارباسكا . انما كل ما هنالك اني ، عندما دخلت القاعة وجدتكم قليلين فيها وانا اريد عددا اكثر . لدي امر ايها الاصدقاء اود الافضاء به اليكم :

ــ في الحقيقة لم اكن هذا المساء في مسرح بيراج ولا في اي مكان شبيه به .. انما كنت في احد الاكواخ بعيدا عن « أيست انديا دوك رود » .. كنت برفقة رجل متخف ، رجل تلاحقه العدالة او بالاصح عدالة زائفة . لقد كان يختبىء هناك . انه كالفئران التي تكثر في تلك المنطقة . والمرعب في الحكاية ــ ولكن ارجو المعذرة اني اتسرع كثيرا ــ يجب ان انتبه .. ان هذا الرجل هو الآن من اعز اصدقائي . ولا اريد ان تضع ثرثرتي العدالة في اثره . على الاقل يجب ان اخفي اسمه .. لنسمه اذا « براسلند » . ان البوليس يطارده منذ اكثر من سنة . يطارده لاجل سرقة بيتية . ولذلك لم ينتظر حتى يقبضوا عليه ... على كل حال ان هذا الجزء من القصة هو من اتفه الاشياء باستطاعتنا سرده ببضع كلمات : لقد نشأ براسلند عند احد البارونات الصغار وكان هذا يتعاطى السياسة . لم تكن تربط بين الاثنين اية صلة قرابة . كان براسلند هدفا لضغط شديد وقسوة فظة من قبل البارون . ولذا فقد تمرد ولم يعد يستطيع الاحتمال فطرد كالكلب الاجرب . وبعد ثلاثة ايام عاد الى المنزل في قلب الليل وهذا على الاقل ما تقوله وثيقة الاتهام وسرق بعض الاشياء الثمينة وفي اثناء ذلك داهمه احد الخدم بالجرم المشهود فضربه براسلند ضربة قضت عليه وفر بالغنيمة هاربا . ولم يقف براسلند كالابله مكتوف اليدين . فجميع الدلائل هذه عدا عن سمعته السيئة السابقة. امام هذا الواقع هرب الفتى متخفيا . هذا هو القسم الاقل اهمية من القصة . واليكم الباقي . بعد سنة من اختفاء براسلند الكلي

توفيت عمة له عجوز تاركة وراءها ثروة طائلة اوصت بها لابن اخيها التائه نكاية بالبارون السياسي لخلاف حصل بينها وبينه . وتلك النكاية كانت جديرة بأن تظل بلا اهمية لو بقيت العمة على قيد الحياة . ولكنها توفيت بعد مضي مدة وجيزة وبعد ان اصرت على وصيتها . وهكذا اصبح صديقي العزيز براسلند غنيا دون علم منه . وكان يجب ان يخرج من مخبئه صارخا: «اعطوني ما يعود لي انه حقي» . غير انه ، قبل ان يحصل على الغنيمة .. كان عليه ان يبريء نفسه امام القضاء بالنسبة للسرقة والقتل . امام هذا فضل البقاء في وكره . وكثيرون غيره كانوا فعلوا مثله تماما . في يوم من الايام وصلتني اخباره . لقد كان في لندن وكان يريد مقابلتي . وذهبت الى الموعد حيث وجدته في حالة يرثى لها .

في ذلك الوقت لم يكن عندي اي شك في جريمته . والبرهان لدي كان واضحا كلمع البرق على غنيمة سوداء ولكن رغم هذا كانت كلماته الاولى كافية لاقناعي ببراءته . أكان يجب ان اصدقه ؟ على كل حال صدقته واصبحت اقدره واحترمه . نعم لقد صدقته رغم انه لم يقدر ان يقدم لي اي دليل حسي سوى بلاغته في سرد الحادثة . انه لم يعطني اية تفاصيل وكنت لا اجرؤ على طلبها منه .

وعندما قابلته كان قد علم بالارث الذي تركته له عمته وكان يعلم مقدار تلك الثروة وانها لا تنتظر سواه . ولكن قبل بزوغ هذا الفجر امام عينيه ينبغي له التعرف الى غياهب السجن . ورفض ذلك لقاء حريته وانا من جهتي لم اقدر ان الومه .

لقد حاولت حلا آخر وقررت ان ادخل في تحقيق جديد على حسابي الخاص . حاولت ان اوضح هذه العملية .. في الظاهر كانت تبدو لي الطريق سهلة هينة والممر غير مسدود . اذ انه لم يطرقه احد بعد ، وذلك لان ما من احد قبل بمناقشة اتهام « براسلند » فهو مذنب بنظر الجميع .

ان يصبح المرء بريئا بالتمني أمر من اسهل الاشياء . ولكن عندما يريد ذلك في الواقع والحقيقة ، فان الامر يتغير كليا . ومهما يكن من شيء فباستطاعتي تجربة ذلك والوقت كاف لدي . لم اترك العقبات تقف بوجهي . ولم ايأس امام فشلي في بداية الامر . لقد كانت عندي فكرة وتبعتها حتى النهاية بكل صبر وعناد وانتهيت بايجاد مبتغاي .

وتوقف وسترام عن الكلام قليلا فقال له بارباسكا بلهجة ساخرة :

ـــ انت تظن انك وجدت مبتغاك .
ـــ اوه .. كلا ارجوك اني متأكد مما اقوله .
ثم قال وودس ضاحكا :
ـــ برافو .. برافو ويسترام ... وهل علم المذنب الحقيقي انك اكتشفته ؟
ـــ ابدا .. كلا .. انه لا يدري بذلك ولا يشك اطلاقا .
واجابه ماكلود بشيء من الحدة : هل تستطيع الاعلان عنه اذن ؟
ـــ كلا بكل أسف رغم اقتناعي الكلي بتجريمه . غير اني ما زلت مشتبها بنقطتين صغيرتين من التفاصيل .
واجابه بارباسكا متهكما ايضا :
ـــ ان التحري القدير ويسترام عرف اذن حدوده وتوقف عندها .
وتدخل شيبرسن وقال :
ـــ اكمل يا اخي لا تكن في الجهة المغلوبة ، بدأت قصتك تكون شيقة .
ـــ اعترف انها كادت تهد اعصابي واوشكت ان تدنيني من الجنون . كيف لا ولم يبق امامي سوى اليسير اليسير حتى تتماسك حجتي وتصبح واضحة . ورغم هذا لم اقدر بعد على تخطي هذا اليسير . لم استطع رفع القشة الصغيرة التي تغطي العقدة . واذا هاجمت الآن وانا في هذه الحالة فان المذنب الحقيقي يفلت من بين اصابعي كالحنكليس رغم امساكي به بقبضة يدي ... واذا تراجعت فالامر يكون ادهى وأمر ... الاجدر بي اذن ان اتريث وانتبه خوفا من ان يشعر بوجودي ويختفي . لقد قلبت المسألة على جميع وجوهها .. ولما وجدتها بلا منفذ عدت لارى براسلند واخبرته بكل ما فعلته من اجله . لقد اظهر لي كل امتنان وكل انتباه لما توصلت اليه وكان يتحرق شوقا لالقاء بعض النور على النقاط الغامضة من القضية . ورغم كونه صاحب المصلحة الاخيرة في هذا ، ومع انه المقصود الوحيد .. رغم هذا لم يستطع اعطائي اية فكرة عن الموضوع ولم يكن بوسعه القاء اي قبس مهما كان ضئيلا . انه لم يساعدني البتة على فضح عدونا المشترك . وبينما كنا نعالج المسألة ونقلبها على جميع وجوهها تساءلت فيما اذا كان ذلك العدو قد شعر بشيء او احس بالملاحقة ... لقد اعلمت براسلند بما يخالجني وقال انه يفكر نفس التفكير . ثم اظهر تفهما كبيرا للامر وقال لي بواقعية جديرة بالاحترام : لا يوجد امامنا سوى طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق . يجب ان نجرب حظنا من هذه الناحية . فلو انني نلت البراءة

الآن في هذه القضية يكون معنى ذلك ان الثروة بأكملها اصبحت لي ... ملكي . وبما اننا لم نستطع التغلب على العدو بالقوة فعلينا مفاوضته . اذهب وجده يا وسترام وارم ورقتك الاخيرة في هذا الموضوع . اعرض عليه مبلغ خمسة آلاف جنيه مقابل اعترافه .

فقال ماكلوود :

ـ فعلا انه قدير وذكي .

وكذلك اجاب وودس وشيبرسن . غير ان بارباسكا اجاب بسخريته التقليدية :

ـ ذكي ؟ وقدير ؟ ليس في هذا شيء من الذكاء والقدرة اطلاقا . اذ اين هو براسلند الشهير هذا الآن وفي اية حال هو حتى يستطيع عرض خمسة آلاف جنيه ؟

واجابه ويسترام بابتسامة خفيفة قائلا :

ـ اوه لا تهتم لهذه الناحية يا بارباسكا ؟

ـ من ؟ انا اهتم لها ؟ ... ولكن هل انا ذاك الرجل العجيب الذي توصل اليه تفكيرك العبقري ؟

أمال ويسترام رأسه الى الوراء مطلقا ضحكة طويلة رنانة وقال :

ـ انه مزاح لا بأس به يا بارباسكا .. هل تسمح لي بتبني هذا الرأي ؟ انه يزيد من رونق القصة . لنفترض اذن ـ هكذا مجانا ودون افتراء ـ انك انت المذنب يا بارباسكا . فماذا تقول او ماذا يكون موقفك ، اذا عرضت عليك الآن وعلى هذه الطاولة وبحضور هؤلاء الشهود الاكارم مبلغ خمسة آلاف جنيه ولقاء ذلك تعترف لي خطيا بأنك المجرم ؟

وكان جواب بارباسكا سريعا . قال :

ـ اقول لك فورا ارني المبلغ .

وقال سيبرسن :

ـ انه جواب عظيم وفي محله .

فأجاب ويسترام :

ـ حاضر .. كما تريد .. اليك هذا المبلغ . ها هو .

وحدثت همهمة تعجب بين القوم عندما شاهدوا ويسترام يخرج من جيبه الداخلي رزمة كبيرة من الاوراق النقدية يقدمها لبارباسكا :

غير ان هذا الاخير تراجع بعض الشيء وعلت وجهه حمرة خفيفة . ثم تفحص الاوراق النقدية قائلا :

ـ كلها من فئة المئة من بنك انكلترا .

وبعد ان رد الرزمة لويسترام اردف :

ـ ولكن كيف تمكن صديقك براسلند من الحصول على هذا المبلغ وهو لا يملك الآن ثمن عشائه ؟

ـ ليس هو الذي حصل على

المبلغ . وفعلا لا يستطيع الحصول عليه في ظروفه الحاضرة . انما هذا المال هو لي انا ولا تنس انني املك بعض الموارد . ولكي نخلص صديقنا من ورطة وقع بها لذلك يجوز لنا من وقت لآخر ان نقوم ببعض المجازفات .. سيعيد براسلند المبلغ عندما يحصل على الارث . وانا الآن مستعد كل الاستعداد لدفع الخمسة آلاف جنيه للرجل المعني . مع العلم انني غير محصن الا لمدة بضعة ايام فقط . ولكني اقبل عن طيبة خاطر بهذه المجازفة . انني اقبل بها خوفا من ان يختفي الشخص فقد بت اشعر انه علم بأني نسجت حوله حبائلي وصار الآن يفكر بالرحيل .

وعارضه بارباسكا :

ــ يجب ان تقول بأنك « جربت » ان تنسج حوله لا انك نسجت .

ــ معك حق في هذا .. لان هذا التعبير الاول يتلاءم اكثر مع الحقيقة الآن .

واجابه بارباسكا :

ــ لنفترض اننا اكملنا هذه الكوميديا حتى النهاية .. ولنفترض ايضا انك حقا تعرض علي هذه الاوراق فأنا اجيبك :

ــ من يثبت لي بأنها اوراق صحيحة غير مزورة ؟

ــ خمسة آلاف ليرة مزورة ؟ انه من غير الممكن الحصول على هذا المبلغ دفعة واحدة . وعلى كل حال اني اعطيك الفرصة لتتحقق من ذلك . ولكن كن على ثقة يا بارباسكا من ان الاوراق صحيحة . اني اؤكد لك هذا كل التأكيد .

فقال ماكلود :

ــ اوه . كفى . كفى . يجب الا تنسيا انكما تمزحان فقط .

واجابه بارباسكا بابتسامة خفيفة غامضة :

ــ هذا صحيح . ثم اردف موجها كلامه الى ويسترام .

ــ لو بقينا في الافتراض اني المجرم صوريا وفي حال كتابة اعترافي واعطائي المال ... الا تكون على روح رياضية كافية يا بارباسكا فتنسح لي فرصة للهرب ؟

ــ وما المانع ؟ ان اعتقالك او فرارك سيان عندي . فالمهم لدي هو تبرئة صديقي ليستطيع الحصول على الارث . لذلك اعطيك كل الوقت الكافي للهرب انت والخمسة آلاف جنيه معك . كم من الوقت يلزمك ؟

ــ اسبوع واحد .

ــ اسبوع واحد . ليكن .

ــ ولكن هل بوسعي الوثوق بك لقاء كلامك فقط ؟

ــ نعم اني اعطيك كلمتي واتعهد لك امام جميع هؤلاء النبلاء .

واستلقى شيبرسن على ظهره من الضحك وهو يقول :

ـ اسمع يا بارباسكا يجب ان تسحب التحدي .

قال ماكلود :

ـ يا الهي .. انه فعلا مشهد طريف .

واراد وودس ان يقول شيئا ولكن بعد ان فكر قليلا فضل السكوت . كان يوجه الى بارباسكا كل انتباهه . لقد لاحظ عليه انزعاجا خفيفا مع اصفرار قليل في وجهه . اما ماكلود فكان متحيرا .

بعد ضحكة شيبرسن المدوية ساد صمت دام بضع دقائق . لقد كان بارباسكا يجلس كما كان من قبل موليا ظهره الى المدفأة مسددا نظره الى رأس حذائه وهو يفكر . وكان ويسترام يتأمله باهتمام ظاهر . ثم تكلم بارباسكا دون ان يرفع نظره عن الارض :

ـ يجب ان يكون الرجل الذي تعنيه قد خاف بادىء الامر من هذا العرض الغريب المفاجىء .

ـ اوه . على كل حال لا اعرف شيئا من ذلك . انما المفروض فيه ان يكون قوي الجأش ثابت الفؤاد . كما وانه يجب الا يخلو من التفكير . لو كنت انت مكانه حقيقة فهل تخاف ؟ هل يلزمك كثير من الوقت لدرس الموضوع ومن ثم لتكتشف متأخرا بأن الوقت قد فات والعرض اضمحل ؟

وغير بارباسكا وضعه قليلا ثم اجاب فجأة :

ـ كلا . كنت انهي القضية في الحال .

فأجابه ويسترام :

ـ برافو .. برافو .. سننهي الامر اذن . اعطونا ورقة بيضاء . اسرعوا ان بارباسكا موافق على اعطائنا اعترافا خطيا .

فقال ماكلود :

ـ خذوا . هذا الورق والقلم ايضا .

هنا تدخل شيبرسن قائلا :

ـ لا تسترسلوا في المزاح الى ابعد من هذا . اني اخاف ان تنقلب الامور .

وقال احد اعضاء النادي ضاحكا :

ـ اني اتساءل ماذا عساه يعترف .

ـ اسمع يا بارباسكا . لا تفعل الاشياء جيدا . قد يلحقك الاذي من ذلك . اني انصحك .

وكان وودس ما يزال يلاحظ بارباسكا باهتمام متزايد . غير ان هذا الاخير لم ينتبه الى مزاح رفاقه ولغطهم . بل ظل قابعا على كرسيه واضعا مجلة على ركبتيه والورقة فوقها والقلم بيده . وبعد تفكير ابتدأ

بالكتابة . كان يكتب بسرعة متوقفا بين الحين والحين ليفكر . في هذا الوقت حاول ويسترام اشعال غليونه . غير انه لم يتوصل الى ذلك الا بعد ان احرق حوالي ١٥ عودا من الثقاب لان يديه كانتا ترتجفان والاضطراب باديا عليه .

ثم وضع بارباسكا قلمه في جيبه وقال بكل هدوء :

ــ ها هو . لقد انتهيت .

ولم يستطع ويسترام الا ان يمد يده بسرعة . ولكنه سمع بارباسكا يقول له :

ــ انتظر قليلا . لو كنت حقيقة المذنب . ولو كان هذا الاعتراف حقيقيا لكنت اعد من المجانين اذا سلمتك اياه قبل ان استلم المال .

فقال شيبرسن :

ــ الحق معه . وعلى كل حال هذه ادنى مراتب الذكاء .

وبدا الاحمرار على وجنتي ويسترام .. ثم تلاه شيء من الاضطراب وقال :

ــ افهم وجهة نظرك . ولكن ، من وجهتي ، لا استطيع اعطاءك خمسة آلاف جنيه مقابل ورقة قد لا تكون لها اية قيمة .

هنا تدخل وودس قائلا :

ــ في هذه الحال اكون انا وسيطا بينكما . فاذا بدا الاعتراف شرعيا لك ادفع لبارباسكا .

ــ مسكين وودس ... انه يأخذ الامور مأخذ الجد ...

واعطى وسترام رزمة الاوراق النقدية لوودس ثم مد له بارباسكا وثيقة الاعتراف . وانكب عليها ويسترام مدة من الزمن يتفحصها بكل امعان . لقد نسي كل من يحيط به . كانت عيناه تلمعان لمعانا غير طبيعي وهو يقرأ اعتراف بارباسكا . وقليلا قليلا اخذ وجهه يزداد احمرارا .. وبهت الجميع واستولت عليهم دهشة غريبة . ماذا في الامر ؟ أهو مجرد مزاح ام حقيقة واقعة ؟ .

ثم قال بارباسكا بلهجة وحشية شرسة :

ــ هل اعجبك ؟ هل يكفي ؟ .

وصرخ ويسترام بنبرة ذات معنى :

ــ نظريتي كانت خائبة . ان الذي تخيلته تحقق هذه الليلة . لقد فكرت دائما ان السرقة المنزلية في بيت البارون في تلك الليلة لم تكن سوى تغطية شيء ذي اهمية كبرى . والآن تحققت . ان هذه الورقة تبرهن لي ذلك .

وسأله ماكلود متحيرا :

ــ ولكن ما الذي يثيرك الى هذا الحد يا ويسترام . هل وجد بارباسكا الحل ؟

ــ هذا ما يبدو لي فباراباسكا يعرف الكثير الكثير عن هذه القضية .

واجابه بارباسكا بحدة :

ــ لم يعد لديك الآن سوى شــيء واحد . هو اعطائي المال .

واجاب الطبيب بكل هدوء وحزم :

ــ اني مستعد لذلك عندما يأمرني ويسترام .

ــ ولكن حافظوا علــى هــدوء اعصابكم ايها السادة . انسيتــم ان القضية ليست ســوى مجــرد تمثيلية ؟

ثم سأل احد الحضور :

ــ ما هي الطريقة التي اقترحهــا بارباسكا لحل هذا اللغز ؟

وهنا تمكن ويسترام بجهد مــن الرجوع الى حالته الطبيعية وقال :

ــ طريقته فذة للغاية . وهي تبين بوضوح كلي سبب سكوت براسلند . وما سبب ذلك سوى وجود امــرأة في الموضوع . على الاقل هذا هــو الحل الذي يقدمه بارباسكــا . ان براسلند قد عاد اثناء الليل الــى منزل البارون ليقابل فيه ابنة شقيــق هذا الاخير التي تسكن مع عمهــا . لقد كان مغرما بالفتاة وكان يريــد وداعها مهما كلف الامر . غير ان ذلك اللقاء الغرامي فوجىء بأحد الخــدم الذ يكان يعرف بالامــر وبعلاقــة براسلند بالفتاة . واراد استغــلال الظرف وطلب بعض المال ثمنا لسكوته .. وما كان من براسلند الا ان اعطاه ضربة عنيفة على فكه من قبضته ثمنا لذلك السكوت وسقط الخادم علــى الارض وبسقوطه ارتطم رأسه بحافة الطاولة ومات بعد قليل . عند هــذا ترك صاحبنا كل شيء وفر هاربــا . ولكي يحافظ على سمعة الفتاة التــي كان يحبها حبا عميقا وصادقا فضــل السكوت والاختفاء . هــذه هي اذن بداية الايضاح الذي يقوله بارباسكا .. ولكن كيف عرف ذلك ؟ انه يدعي وجوده في البيت اثناء تلك الليلة ضيفا على البارون . وهكذا رأى وسمع كل شيء . ان هذا الشرح يتناسب تماما مع الاثباتات التي توصلت اليها انــا شخصيا ويلائم كل الملائمة استنتاجاتي .. فباراباسكا ــ كما قال ــ كــان موجودا تلك الليلة هنا ك. وهو يعلق في اعترافه هذا انه كان مهمتا باحدى الوثائق السياسية التي لها شــأن بالمصلحة العامة والموجودة في حوزة البارون . كان يريد الاستيلاء عليهــا مهما كلف الامر . لذلك اختار تلــك الليلة بالــذات . وليخفي بارباسكــا قصده الحقيقي غطى عمله هــذا بظواهر السرقة العادية . فأختــار بعض الاواني الثمينة واخذها مــن البيت ثم ذهب والقاها في بئر مهجورة .. ما زالت هناك الــى الآن . كان قصده من هذا ايهام البارون بــأن الوثيقة اخذت صدفة دون تقديــر

لقيمتها . والفكرة لم تكن سيئة ابدا . لم يكد بارباسكا ينتهي من عمله هذا حتى ظهر براسلند في البيت فجأة يسير متخفيا . وباقي القصة تعرفونه جميعا .. ان كل شيء اصبح الآن واضحا كالنهار ، وهذا الاعتراف حقيقي وفعلي وقد رأيتموه جميعكم يكتبه بخط يده . وهذا لا يبرأ ساحة براسلند ويجرم كاتبه بارباسكا .

انهى ويسترام خطابه هذا بصرخة انتصار مدوية فتدخل ماكلود قائلا :

ـ ان القضية سهلة .. سهلة للغاية . يعني تريد ان تقول : ان هذا الاعتراف يبريء الاول ويجرم الثاني فيما لو كان اعترافا حقيقيا وفعليا . اليس كذلك ؟

وهنا طلب شيبرسن بلهجة آمرة حازمة تمزيق الورقة . ولكن وودس اجابه :

ـ ان الامر يعود لبارباسكا فقط .

وطلب ويسترام من وودس بلهجة مضطربة لما كان يبدو عليه من الارتباك وقال :

ـ هل تريد اعطاء بارباسكا الخمسة آلاف جنيه من فضلك ؟

وامام هذا الواقع خيم فجأة سكوت مزعج على القاعة كلها وكأن سلكا كهربائيا مس جميع الحاضرين . ما هذا ؟ .. ماذا في الامر . هل هم في حلم ؟ أهي قصة خيالية تمثل امامهم ام حقيقة واقعة ؟ ما معنى كل هذا ؟

وقال وودس وهو يقدم رزمة الاوراق النقدية لبارباسكا :

ـ تفضل . خذ المبلغ .

وبسرعة اخذ بارباسكا المبلغ ووضعه في جيبه الداخلي . ثم اجال في الحضور نظرة لا يفهم معناها . وقال لويسترام بلهجة يشوبها التهديد ـ تذكر جيدا ـ انتبه .. لقد اعطيتني فرصة اسبوع .

ـ اسبوع واحد فقط .. لا اكثر ولا اقل .

واختفى بارباسكا وراء الباب الخارجي .

ساد المكان ضجيج صخب كان الجميع يتكلمون دفعة واحدة .

وبحركة من يد ويسترام عاد الهدوء من جديد وقال موجها كلامه للاعضاء :

ـ اؤكد لكم بأن هذه الصفقة التي اتممتها الآن ليس فيها شيء من الهزل والاختراع . لقد اخترت هذه الطريقة غير المباشرة للاقتراب من الشخص العلني لانها كانت الافضل والاحسن لاغرائه دون ان تترك له المجال للفرار . هذا من جهة . ومن جهة ثانية كنت اريد الحصول على اكبر عدد ممكن من الشهود . لقد ابتدأت بملاحقته خطوة خطوة منذ عدة اسابيع .. غير انه اخذ مؤخرا

يشعر بذلك .. وفكرت بهذه الطريقة ونجحت . لقد عرضت عليه عرضا تجاريا وانتزعت منه الاعتراف .

قال شيبرسن متعجبا مذهولا :

ــ ان هذا فائق الطبيعة حقا .

وهل تنوي فعلا اعطاءه فرصة اسبوع ؟ انه سيترك انكلترا حتما .

وسأل ويسترام بشيء من التردد :

ــ هل قلت اسبوعا حقا ؟

ــ اظن اننا سمعنا منك ذلك . بل اني اؤكد .

وهنا حدثت ضجة مفاجئة . لقد انفتح الباب بعنف كأن عاصفة هوجاء هبت عليه واندفع بارباسكا الى وسط القاعة . ثم توجه نحو ويسترام الذي بدأ يتراجع امامه . وهب الجميع وقوفا . وهجم بارباسكا وهو يقول :

ــ ايها الكذاب اللعين هل تظن انك خدعتني ؟

ثم تابع هجومه محاولا امساك ويسترام من خناقه لولا تدخل شيبرسن السريع .

ــ ولكن ماذا جرى ؟

فأجاب بارباسكا بانفعال كلي :

ــ اسأله هو .. اسأل هذا الكذاب المخادع . لقد وجدت في اسفل السلم شرطيين بانتظاري . انهما دون شك اتيا بطلب منه .

والتفت شيبرسن نحو ويسترام يسأله :

ــ هل هذا صحيح ؟

ــ نعم .. لا انكر ذلك .

فقال بارباسكا :

ــ ولكن ثق انك لم تتمكن مني بعد . انظر جيدا .

وقبل ان يفهم احد ماذا ينوي توجه نحو المدفأة مسرعا والقى برزمة الاوراق النقدية وسط النار وهو يقول: اليك اموالك اللعينة ايها اللعين .

واجابه ويسترام باستهزاء ظاهر :

ــ افعل ما شئت بها . لدي اعترافك مكتوب بخط يدك . وهذا ما يهمني .

ــ صحيح . اتظن ذلك ؟ ولكن كتبته بقلمي الخاص . . . وليكن معلوما لديك الآن ان حبر هذا القلم لا يلبث ان يمحى من تلقاء نفسه بعد عشر دقائق فقط . واذا كنت لا تصدق تحقق بنفسك من ذلك . والآن من الذي غدر بالثاني . . . انت ام انا ؟

وبالفعل اخذ ويسترام الورقة واذا هي كما قال بارباسكا . لقد اخذت الكتابة بالاضمحلال حتى ان القسم الاول من الاعتراف اختفى نهائيا .

وبحزن واسى ظاهر قال ويسترام :

ــ لقد غلبني فعلا الآن .

فقال شيبرسن متعجبا :

ــ يا الــه السماء .

وحدثت ضجة قوية بين الحضور . فالمثير في هذه القضية لم يعلن بعد .
واستدار بارباسكا بهدوء مضحك نحو ثلاثة من اعضاء النادي انكبوا فــوق النار لانتشال ما يستطيعــون انتشاله من الاوراق النقدية وهــــو يقول :

ــ لا تتعبوا انفسكم ايها الاصدقاء .. اتركوا هذا . انها ليست سوى اوراق مزيفة . اما الاوراق الصحيحة فهي في جيبي .

★ ★ ★

تستطيعون ان تلقوا نظرة اعجاب الى ويسترام الآن .. اما التصفيق فاحتفظوا به لي انا وحدي .. فنحن بالفعل جئنا نعيد امامكم تمثيل هــذا « الاسكتش » بعنوان « هزة عاطفية عنيفة » وذلك علــى شرف صديقنـــا العزيز ومدير نادينا الاعز الحاضر هنا الآن السيد شيبرسن . فما رأيــك يا شيبرسن العزيز ؟ هل تشتري ؟

ورغم ما كان يبديه شيبرسن دوما من تحفظ في ظروف كهذه . توصــــل بعد جهد الى تجميع افكاره المشتتــة وقال بلهفة ظاهرة :

ــ حقوق شراء هذا «الاسكتش» ؟ نعم اني اشتريه لبريطانيا العظمــى والمستعمــرات واميركا مع جميـــع الحقوق .





قصص هيتشكوك

تصدر باشراف المخرج العالمي الشهير
الفريد هيتشكوك
سيد الاثارة وملك التشويق

الكتاب السادس — آب ١٩٦٧

سلسلة قصصية
تصدر في حلقات شهرية
تضم في كل كتاب :

- اروع قصص الاثارة والرعب التي تحبس الانفاس
- اعظم المغامرات البوليسية والبسيكولوجية التي تلهب المشاعر
- اغرب الحوادث الواقعية التي تفوق الخيال

ثمن النسخة :

لبنان : ليرة لبنانية ــ سوريا : ١٢٥ ق٠ س٠ ــ الاردن : ١٢٥ فلسا ــ العراق : ١٢٥ فلسا ــ ج٠ ع٠ م٠ : ١٥٠ مليما ــ الكويت : ١٥٠ فلسا ــ البحرين : ٢٠٠ فلسا ــ قطر ، ابو ظبي ، دبي : روبيتان ــ المملكة العربية السعودية : ريال ونصف ــ السودان : ١٥٠ مليما ــ ليبيا : ١٥ قرشا ــ عدن ، اليمن ، مكلا : ٤ شلنات ــ المغرب : درهمان ــ الجزائر : ديناران ــ تونس : ٢٠٠ فلس ٠